

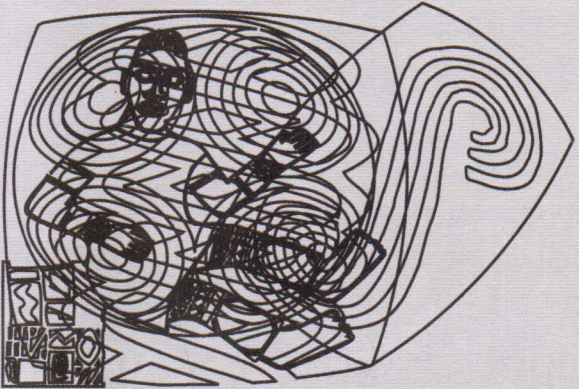


المرتضى مكتب السودان

ثورة زنجبار ١٩٦٤م

هل العرب مواطنون في أفريقيا
أم مستوطنون؟

د. عبد الله علي إبراهيم





سلسلة كتابات نقدية
في مسائل الفكر والتاريخ

يحررها د. عبد الله علي إبراهيم

.....

صدر في الدورة الأولى (١٩٧٦-١٩٧٧م):

١. الماركسة ومسألة اللغة في السودان، ١٩٧٦م.
٢. كيف أحطوطب عشب «إشراقة» التيجاني يوسف بشير، ١٩٧٧م.

صدر في الدورة الثانية (٢٠١٠-٢٠١٢م):

٣. بخت الرضا: التعليم والاستعمار، ٢٠١٠م.
٤. انقلاب ١٩ يوليو ١٩٧١: من يومية التحري إلى رحاب التاريخ، ٢٠١٢م.
٥. فاطمة أحمد إبراهيم: عالم جميل، ٢٠١٢م.

صدر في الدورة الثالثة (٢٠١٦م):

٦. ثورة زنجبار ١٩٦٤: هل العرب مواطنون في أفريقيا أم مستوطنون؟، ٢٠١٦م.
٧. التعريب: هذيان مائوي، ٢٠١٦م.
٨. حركة وطنية أم حركات وطنية: تاريخ ما أهمله التاريخ عن جنوب السودان، ٢٠١٦م.
٩. أصوات أخرى في الحديقة: التعليم والتراث في السودان، ٢٠١٦م.

.....



دار المصورات للنشر
والطباعة والتوزيع

الخرطوم غرب،

شارع الشريف الهندي

المتفرع من شارع الحرية

ت: 0912294714

ثورة زنجبار ١٩٦٤م
هل العرب مواطنون في أفريقيا
أم مستوطنون؟

سلسلة «كاتب الشؤنة»

(٦)

الكتاب: ثورة زنجبار ١٩٦٤م
هل العرب مواطنون في أفريقيا أم مستوطنون؟
الكاتب: د. عبد الله علي إبراهيم
تاريخ النشر: الطبعة الأولى 2016م
رقم الإيداع: 2015/17555

الناشر: دار المصوّرات للنشر
والطباعة والتوزيع



الخرطوم غرب،
شارع الشريف الهندي
المتفرع من شارع الحرية
ت: +249912294714
banaga1985@yahoo.com

المدير المسؤول: أسامة عوض الريح
التحرير: محمد عمر نصر
التصميم: محمد الصادق الحاج

حقوق النشر محفوظة للمؤلف والناشر ©

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه
كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي
مسبق من الناشر.

إن دار المصوّرات للنشر غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبّر
الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلف ولا تعبّر
بالضرورة عن وجهة نظر الدار.



«٦»

ثورة زنجبار ١٩٦٤م

هل العرب مواطنون في إفريقيا
أم مستوطنون؟

د. عبد الله علي إبراهيم



دار المصبرات للنشر
والطباعة والتوزيع

2016

سلسلة كتب نقدية التشوننة في مسائل الفكر والتاريخ

هذه سلسلة لمعالجة قضايا الفكر ومناهجه
تفاعلت باسم «كتاب الشونة» الذي هو أول مدونة
تاريخية مستحقة الاسم في السودان، وهي عن
تاريخ دولة الفونج (١٥٠٤م-١٨٢١م) كتبها
الشيخ أحمد بن الحاج أبو علي كاتب الشونة المولود
في «٨٤-١٧٨٥م» بالجزيرة جهة المسلمية. وجاءت
شهرته بـ«كاتب الشونة» من وظيفته في ١٨٢٤م
كاتباً لشونة الغلال للحكومة التركية التي حكمت
السودان في ١٨٢١م. أخذ كاتب الشونة تاريخ
الفونج الباكر مما سمعه أو قرأه، أما تاريخهم
المتأخر الذي عاصره فقد شهد على عصره. ولم
يتوقف بنهاية دولة الفونج في ١٨٢١م بل استمر
يؤرخ لزمانه حتى عام ١٨٣٤م.

واكتنفت المخطوطة بركة غراء في التأليف.
فكانت موضوع تضامن تاريخي لثقفين في الدرجة
الرفيعة. فقد اتفق لجماعة من بواكير مثقفينا في
القرن التاسع عشر، هم القاضي المفتي إبراهيم عبد
الدافع ١٨٠٠م، والوزير ود ضوة، والمفتي الأمين
الضرير، على المضي بتدوين التاريخ العاقب لسنة
توقف كاتب الشونة ١٨٢١م صُعداً حتى عام
١٨٧٢م. ثم تعاقب على تحريرها ونشرها في القرن
العشرين من شتيت نُسَخها، في إسطنبول وقيينا
ولندن ونوتنغهام، صفوة من المؤرخين هم الدكتور
مكي شبكة ١٩٤٧م، والشاطر البصيلي عبد الجليل
(١٩٦١)، وب. م. هولت ١٩٩٩م. ووصفت المؤرخة
هينر شاركي المخطوطة بأنها أهم مصدر في اللغة
العربية عن السودان في حقبة تزايدت فيها وتائر
انتشار الإسلام وأرهصت هويته العربية الإسلامية
بالظهور.

المحتويات

(أ) ثورة زنجبار ١٩٦٤:

هل العرب مواطنون في أفريقيا

أم مستوطنون؟ ٩

أسقف كانتبري، شخير التاريخ ١٢

أن تُقتل العرب ١٤

(ب) رب الأفارقة،

ثورة أم غزوة؟ ٢٧

القيلد مارشال، الغريب الزنيم ٣٥

أوكيلو، عبث شاذ بالتاريخ

لن يجاب غير الخزي لمن يقومون به ٥٧

(ج) هولوكوست العرب،

نهاية السياسة ٦٥

الانتخابات التي ما بعدها أخرى ٦٨

ماركسية الجزر الغافية ٧٧

الزنجي لا يزايد بززوجته

كما النمر لا يزأر بنمريته ٨٣

خاتمة ٩١

قائمة المصادر والمراجع ٩٧

(١)

ثورة زنجبار ١٩٦٤م:
هل العرب مواطنون في أفريقيا
أم مستوطنون؟

أريد بهذا المبحث تجديد البحث في هولوكوست العرب في زنجبار الذي أنزلته بهم ثورة «الأفارقة» في العاشر من يناير ١٩٦٤م فقضت على سلطانهم في الجزيرة وتعقبتهم قتلاً واعتقالاً واغتصاباً وتهجيراً على الهوية. وما حثني على العود على بدء بخصوص هولوكوست زنجبار شهود عام ٢٠١١م صدور ثلاثة كتب تطرقت بصورة إيجابية أو سلبية لمحنة زنجبار. كتابان من الثلاثة تناولا وقائع تصفيات عرقية مصموت عنها. فعرض كتاب الأكاديمي الأمريكي رينيه مارشان لحادثات ثمان منها ووصفها بـ«المنسية». ولم تكن بينها محنة زنجبار. وهكذا فالمأساة العربية الإنسانية لا

تُذكر حتى حين يفتح الله لكاتب أن يرفع الغطاء
عن محن البشر المطوية، فهي من منسَي المنسيات.
ولكن وجدتُ الأكاديمي الكندي هيربرت آدم أفرد
لها فصلاً في كتابه «أصوات مخرسة: فظائع
مجهولة في القرن العشرين». أما الكتاب الثالث
الذي حفزني لأنظر مجدداً للمحنة فهو للأكاديمي
جوناثان قلاسمان، الاختصاصي بتاريخ ساحل شرق
أفريقيا بجامعة نورثوسترن، الذي وضعها في سياق
تحليل متعمق للفكر العرقي والعنف في زنجبار.
وأستغلّ حلول الذكرى الخمسين لهذه النكبة
العربية في ٢٠١٤م لأميظ، نافذاً بمدخلها السالب
الصعب، الأذى عن طريق العلاقات العربية
الأفريقية. فالمحنة هي، بتعبير الفرنجة، «عظام
نخرة» في دولاب القومية الأفريقية التي تضيق
واسع القارة فتقصرها وطناً للزنج السود لا غير.
وهي ذروة في عقيدة أفريقيا الزوجية التي لم
تتواضع بعد على الاعتراف بأن أفريقيا حمالة
أوجه وثقافات وشعوب. فإن لم تكن زنجياً قحاً،
في منظور هذه العقيدة، فأنت «مستوطن» عتوت
على أهل البلد وسيأتي يوم أن تُردَّ إلى أهلِكَ الأولين
مهما طال مكوثك في القارة أو تُباد دون ذلك.

يريد البحث أن نتدارك بإستراتيجية عربية
ناجعة هذه المهلكة التاريخية بهجمة فكرية رصينة
على الاعتقاد الخطر السائد بأن العرب غزاة لأفريقيا
وجماعة من المستوطنين يدخل اقتلاعها في باب
الثورة وصالح الأعمال. وكانت هذه العقيدة إطاراً

قلّ التصريح به في مسألة جنوب السودان⁽¹⁾. فقد ادخرت الدوائر المتطرفة من القوميين الجنوبيين «الأفارقة السود» في نزاعهم مع «عرب الشمال» مصيراً لأولئك العرب كمثّل يوم الأندلس وزنجبار. وعالج محمود ممداني، الأنثروبولوجي الأفريقي المعروف، هذه العقيدة الفاسدة التي اكتنفت الصراع في دارفور في كتابه «منقذون وناجون» (٢٠٠٩م). فعرض لكيّف صوّرت دوائر متنفذة في دارفور والغرب مسألة دارفور كنزاع بين عرب طارئة وأفارقة قاريّين. ولما كانت دراسة عرب السودان لم تتجاوز محطة حلولهم في السودان في ما بين القرن التاسع والخامس عشر كثيراً في دراسات الغرب عنها ومن تبعهم بغير إحسان، صار أولئك العرب، وقد تجمدوا في التاريخ، «مستوطنين» عتوا على أهله الأصل وأخرجوهم عن ديارهم.⁽²⁾

(1) استنكرت الحركة الشعبية في بيان لها أخير استهداف الجيش السوداني، العربي في نظر الحركة، «السكان الأصليين» في جبال النوبة بجنوب كردفان والنيل الأزرق (سودانيل ١٧ سبتمبر ٢٠١١). وراجع أبوبكر القاضي، القيادي بحركة العدل والمساواة الدارفورية، ناشطاً من جبال النوبة بولاية جنوب كردفان لتأكيد أنه شعبة النوبة هم «أصحاب الأرض الأصليين» بينما المسيحية العرب وافدون. وقال له أن التّجمل بالأصالة على الأرض فكرة خطيرة يجعلها «المواطنة درجات ربما بحسب الأقدمية في التواجد على الأرض أو حسب النقاء العرقيّ الزنجي للأشخاص الموجودين على الأرض».

(2) Sandra Lockwood, *Nightmare in Paradise: the 1964 Zanzibar Revolution and Genocide*. In Adam Heribert, *Hushed Voices: Unacknowledged Atrocities of the 20th Century* (Berkshire, Berkshire Academic Press, 2011), p. 24.

أسقف كانتبري، شخير التاريخ:

زار نيافة روان وليام، أسقف كانتبري، زنجبار في ٢٠٠٧م وغشي الكاتدرائية الإنجيلية المبنية فوق سوق أثري للنخاسة العربية في القارة في القرن التاسع عشر. ومر نيافته على زنازين أولئك الرقيق وحمل قيودهم بين يديه وقال: «ولكأن الرق نوع من الجبر على المجتمع الإنساني. بوسعك العودة مرة بعد مرة لتجعل من الناس أدوات أو ممتلكات. ولا أحسب أننا سنجلس حيث نحن ونقل إن ذلك كان في الماضي وانقضى. فكل صور النخاسة الحديثة، الرق الاقتصادي، ورق المدين، ونخاسة التبضع في الجنس-كلها حاضرة معنا في زمننا (لوكوود ٢٠١١، ٢٤).^(١)

ولو كان لضحايا هولوكوست العرب في زنجبار بعد ثورة ١٩٦٤م نصب في الجزيرة لربما رأى نيافته، متى زاره، أن بعضنا من مثل قوميّ ثورة ١٩٦٤م الزوجية لم يكن جالساً على عجيّزته حيال الرق مكتوف الأيدي. فقد انغبن أولئك القوميون من نصب الرق مثل كنيسة زنجبار، التي أنشئت في ١٨٧٠م لتدشين «المهمة الحضارية» الاستعمارية الأوروبية على خرائب الرق العربي، وأوغرت صدورهم بالتذكير وحيد الجانب بذلك الرق، حتى وأتاهم الظرف فأفسدوا في الأرض. واستنكر قلاسمان هذا الصوت الغربي المبرمج لإذكاء

(1) Mahmood Mamdani, *Saviors and Survivors: Darfur, Politics, and War on Terror*, (New York, Doubleday, 2009), p. 93.

ذكرى الرق العربي في شرق أفريقيا. فذكر في السياق
مسلسلاً للأكاديمي الأمريكي الأفريقي البارز بجامعة
هارفارد، هنري لويس قيتس، وعنوانه «عجائب
أفريقيا»، الذي خصص حلقة منه لأهل ساحل أفريقيا
الشرقي وثقافتهم. فزار زنجبار وساءه أن يزعم بعض
أهلها نسبة شيرازية فارسية وهم سود مثله. وزار
قييتس كنيسة سوق النخاسة العربي المار ذكرها التي
صارت منذ الثورة مزاراً يعاد فيه إنتاج تاريخ النخاسة
العربية وأساطير وحشيتها. وعاب قلاسمان على هنري
أنه سمح لسدنة النصب أن يروا له تلك الأساطير وكأنها
حقائق تاريخية مؤكدة.⁽¹⁾

ومزارات الرق العربي في شرق أفريقيا عديدة. فقد
غشي السيد محمد فايق، الدبلوماسي المصري، حرماً
من حرمت الشحن التاريخي ضد العرب. فرأى لوحة
نصبها الإنجليز بجامعة ماكيري بأوغندا على موضع
بارز أظهرت إنسانية الإرساليات المسيحية التي جاءت
لأفريقيا لتحررهم من أغلال الرق التي شكهم العرب
بها. كما حوى متحف ليفنقستون في زامبيا عرضاً عن
إنسانية المسيحية ونخاسة العرب.⁽²⁾

(1) Jonathan Glassman, War of Words, War of Stones: Racial Thought and Violence in Colonial Zanzibar, (Bloomington: Indiana University), p. 310.

(2) محمد فائق: عبد الناصر والثورة الأفريقية. دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٨٤.

- أيضاً راجع: ناصر بن عبد الله الريامي: زنجبار: شخصيات وأحداث. دار الحكمة، (لندن، ٢٠٠٩م، ص ٥١٥.

وبلغت رسالة تلك النصب من أوغرته فلم
يرحم. فجون أوكيلو، قائد ثورة ١٩٦٤م الزنجبارية
وسفاحها موضوع ورقتنا هذه، ممن أثار حفيظته
واحد من تلك المزارات. فهو يوغندي الأصل شريد
آفاق ساقته المعايش إلى زنجبار عبر كينيا في
١٩٥٩م كما سنرى. فقال إنه كان بكينيا فأحسن
له عربي بموضع للمبيت ولكن حذره من الشخير
بعد وصفه بـ«العبد». وحلم ليلتها بمن قال له
إنك ستعبر إلى جزيرة بالمحيط الهندي ونبهه إلى
أن يحذر لأنه سيعاني الأمرين على يد أجانب^(١).
وزار في سياحته قلعة المسيح بممباسا بساحل
كينيا الشرقي وقال إن حيطانها شاهد يُخجل تجار
الرقيق العرب. فسجد على بلاطها من فرط الغبن
وأقسم أن يزيل تجارة الرقيق التي يزرع تحتها
الأفارقة في المستعمرات البرتغالية وجنوب أفريقيا^(٢).
وصدق أوكيلو وعده كما سنرى.

أن تقتل العرب:

تحتفل زنجبار كل عام بثورة ١٩٦٤م ولا يذكر
أحد الهولوكوست الذي ارتكبه الثوار بحق شعبها
العربي. وهو جنوسايد بدا به أن جماعة أثنية ما
كادت تظهر الوجود من أثنية أخرى^(٣). وتاريخ

(1) John Okello, Revolution in Zanzibar, (Nairobi, East African Publishing House, 1971), p. 62.

(2) Okello, 64.

(3) Lockwood, 13.

المذبحة ما يزال ناقصاً بعد نحو نصف قرن من حدوثها حتى قال قلاسمان، على سعة اطلاعه في الشأن، إنه مما يستحق أن يكتب في سجل شامل للثورة لم يقع لنا بعد⁽¹⁾. ودأب على إنكار هذه المحرقة الأدب الأفريقي بالذات الصادر عن مؤرخين من بر تنزانيا. فقل خوضهم في دقائق تلك المذبحة وعوضوا عن ذلك بتكذيب «تخرصات العرب عنها. فعمر مابوري (١٩٩٦م) يزعم أن مسألة ضحايا الثورة حبل على غارب لأنه لم تقع على إحصاء موثوق به لعدد القتلى والجرحى⁽²⁾. وقال مابوري إن هذا الفراغ ملأته الحدوس والتزويرات. فالعرب توارثوا زعم أن الثورة قد قتلتهم بالجملة. وهذه قصص لا طائل من ورائها سوى تأجيج الفتنة بين أعراق الجزيرة. ونُسبت المبالغة في أرقام ضحايا العرب إلى جون أوكيلو، اليوغندي الغامض الذي قاد الثورة، بما ظل يذيعه على الراديو خلال

(1) Glassman, 284.

(2) استغربت لوكوود كيف أنه ليس بيدنا تغطية موثوق بها لمقتلة زنجبار ومرور هذا القتل المجاني بغير أن يلحظه أحد ويسجل وقائعها. وزادت أنه لا بد هناك من عاش تلك الفظائع وسليم ودون وقائعها. لماذا لم تقع بيدنا تغطية مباشرة من شامد عيان؟ هناك عرب هربوا وأنشأوا جماعات مغتربة في عمان وغيرها من بلاد العرب. فإذا لم يخرج شهود العيان هؤلاء بروايتهم سيظل هذا الجنوسايد حادثة غامضة أو أسيء فهمها (Lockwood, 23). وربما غاب عن الكاتبة السجل العربي في هذا الخصوص. ووجدت الريامي (٢٠٠٩) جاء بعينات ناضجة من تلك الذكر.

الثورة من قتل مجان للعرب بقصد الترويع. ثم تخلص مابوري من الوزر بتخليط المسألة بقوله إن الضحايا كانوا عرباً وأفارقة. وهذا تفريق لئيم للدم بين القبائل.⁽¹⁾

واحدة من سبل التغطية على المذبحة وتغييبها هي الإنكار المتفاوت لدور الفيلد مارشال جون أوكيلو في الثورة برغم أنه الشاهد المستميت عليها. فأحصى ضحايا العرب عدداً في كتابه «ثورة زنجبار» (١٩٧١م) ساعة بساعة ويوماً بيوم. بل قال إنه طلب عن طريق الإذاعة في الثانية بعد ظهر يوم الثورة ١١ يناير من قادة فرقته المسلحة أن يوافوه بخسائر العدو في الأرواح والجراح والاعتقال. وطلب منهم تقديم نفس المعلومات عن ضحايا الثوار⁽²⁾. واستنتج أنتوني كليتون أن أوكيلو ربما عمل شرطياً في زنجبار قبل الثورة مع أنه لم يذكر ذلك ضمن أشغاله في كتابه. فطلبه من عصبته الثورية التبليغ عن الضحايا بعد كل معركة مع العدو تدريب نظامي بريطاني علاوة على ما بدا عليه من ارتياح في زيه العسكري في الصور التي أخذت له بعد الثورة. فصورته في زي الفيلد مارشال هي لشخص مرتاح في ملبوس واضح أنه لم يرتديه لأول مرة.⁽³⁾

وتواترت التقارير. جاءه التقرير الأول في

(1) Omar Mapuri, Zanzibar, the 1964 Revolution: Achievement and Prospects, (Dar es Sallam, Tema Publishers, 1996), pp. 54-55.

(2) Okello, 148-149.

(3) Anthony Clayton, Zanzibar Revolution and Its Aftermath (London, C. Hurst, 1981), p. 52.

الثالثة بعد الظهر عن هجوم عصبته على رئاسة شرطة زيوان أسفر عن ٣٩ قتيلاً و ٨١ جريحاً و ٤٣٠ أسيراً. وقتلت عصبته ٢١ في رئاسة الجيش في متونسي وجرح ٧٥ وأسرت ٢٢٨. وكان ضحايا هجومها على رئاسة السجون هو ١٧ جريحاً وأسرت ١٦٠. وبلغته تقارير من الريف تفيد أن ضحايا المواجهات كانوا ٧٩١٥ منهم ١٤١٧ من الأفارقة والبقية عرب^(١). وذكر أنه تلقى في التاسعة مساء يوم ١٢ يناير تقريراً باحتجاز عصبته لـ ١٤٧١٦ فيهم نساء العرب وكبارهم وأطفالهم^(٢). وقال إنه طوق بنفسه واعتقل ٤١ من العرب (١٨ من النساء و ١٠ أطفال) فطلب ترحيلهم إلى زنجبار ولكن طاقم عصبته قتلهم^(٣). وقال إنه علم عن ثورة للعرب مدبرة يوم ١٢ من يناير عن صبي رتبت عصبته لشنقه بعد أن قتلوا ٤٠ من أهله. وجاء أوكيلو في الوقت المناسب لينقذ الصبي من الموت^(٤). وقال إنهم صاروا في يوم الأحد يبحثون عن العرب «دار دار» بصورة شاملة وإذاعة إحصائيات قتلهم وجرحهم ومعتقليهم^(٥).

من الجهة الأخرى وجه أوكيلو جنده ألا يتعرضوا للأوربيين أو الهنود. بل أذن لهم التحرك

(1) Okello, 150.

(2) Okello, 151.

(3) Okello, 153.

(4) Okello, 150.

(5) Okello, 151.

في أرجاء الجزيرة بصحبة جند منه⁽¹⁾. وقال إنه وجه عصبه الثورية مرة لكسر مقاومة العرب بإطلاق النيران في كل اتجاه وقتل كل ما يعرض لهم «رجالاً، نساء، أطفالاً، عرجى ومكاسير، حتى الدجاج والمعيز». وصب البنزين على بيوتهم وأحرقها عن بكرة أبيها بحريق عظيم ثم وجه ضباطه لحصر الضحايا لاحقاً⁽²⁾. وقال في موضع آخر إنه وجه عصبته لحرق بيوت العرب دون قتلهم. ولكن رجاله خالفوه وقتلوا بالنظر، في قوله، إلى مضاضة الأفارقة القديمة من العرب. فهم قد عصوه حين وجههم للاحتفاظ بواحد وأربعين عربياً انكشف له مخابهم فعين لهم حراسة بعد أن اعتقلهم بنفسه وطلب ترحيلهم أحياء إلى مدينة زنجبار⁽³⁾. وجمع إزموند مارتن حصيلة أوكيلو فقال إن ضحاياه في يومه الثالث كانوا ١١ ألف وتسعمائة خمسة وتسعين محارباً مقتولاً وهلك ١٦٣١ مدنياً ولم يمت سوى ٩ من عصبه أوكيلو. واعتقلت الثورة ٢١ ألف وأربعمئة اثنين وستين. وقال إنه مع أن القتال والذبح لم يدم طويلاً صارت زنجبار أعنف الثورات في أفريقيا الاستوائية حتى تاريخه⁽⁴⁾.

(1) Okello, 155.

(2) Okello, 151.

(3) Okello, 153.

(4) Esmond Martin, Zanzibar: Tradition and Revolution, (London, Hamish Hamilton, 1978), p. 58.

ويستغرب المرء لمنكري محرقة زنجبار وشواهدا قديمة. فقد خلدها فيلم « أفريقيا: الدم والبأس » للتلفزيون الإيطالي الذي صوّر، على الطبيعة، مشاهد القتل على « الدشداشة ». وحملت صورته عن زنجبار رعباً محضاً: صفوف طويلة من رجال ونساء في طرقهم لحفر الماثوي الأخيرة لهم، وعربات تراكمت عليها الجثث، ومقابر جماعية، وجثامين بلا حصر طافحة في المحيط هلكت قبل أن تهرب بالقوارب من ويل الهولوكوست. وترى في الفيلم كل ما يصم الثورة بالمحرقة. وأنتج الفيلم السينمائيان الإيطاليان قواتيرو جاكوبييت وفرانكو بروسبري اللذان طافا بالجزيرة على متن طائرة في يومي ١٢ و ١٤ يناير يصوران وقائع الهولوكوست «لايف» والثوار يرمونهما بالسلاح لزجرهما عن فعلهما. وشكك القوميون ألافارقة في صدق رواية الفيلم عن الحادثة^(١). بل أدانه سفراء عن ٢٠ دولة أفريقية لإيطاليا. وتسبب ذلك الضغط القومي الأفريقي في غياب وزير الثقافة الإيطالي من الحفل الذي أقيم في ١٩٦٦م بمناسبة منح منتجي الفيلم جائزة دونالدتو ديفيد. وما أزعج أولئك السفراء أن الفيلم لم يقل كلمة طيبة واحدة عن أفريقيا وحشد صور الفظائع الأفريقية التي تمثلت في قتل واحد منهم الآخر وتخريب البيئة في أعقاب تحرر القارة^(٢). وليس من بين تلك الصور واحدة

(1) Clayton, p. 78, footnote 55.

(2) Lockwood, endnotes 26 and 27.

مختلقة بما فيها واحدة عن قتل للعرب والمسلمين بدار السلام⁽¹⁾. وقال كلايتون إن مشهد زنجبار الدموي صعب التشكيك فيه بواقع طبيعة الأرض في الفيلم التي لا شك في زنجباريتها.⁽²⁾

لربما بالغ أو كيلو في الإبلاغ عن ضحاياه ولكن إحصائيات من تحروا الهولوكوست من المؤرخين مزعجة. فرغم خلو يدهم من ثبت بضحايا ثورة ١٩٦٤م إلا أنهم اتفقوا على أن القتل فيها كان مفرطاً وعلى الهوية. فقد تعقبت العصب الثورية العائلات العربية. ومن المحتمل أن الآلاف قتلوا. وسبق آخرون لمعسكرات الاعتقال ثم هُجروا من البلد في آخر العام الذي فقدت فيه زنجبار ربع سكانها العرب أو أكثر.⁽³⁾

وتتراوح تقديرات المؤرخين لضحايا هولوكوست العرب بين ٥٠٠٠ و ١١٠٠٠، وربما كان الحد الأدنى أكثر قليلاً. فكان مدير شركة سميث ماكينزي الإنجليزي، أ. لدجر، بأنقوجا (اسم الجزيرة التي عليها مدينة زنجبار وتشكل معاً جزيرة بمبا دولة زنجبار) وقدر الضحايا ب ٨ ألف على أساس البيوت

(1) اسم الفيلم هو «أفريقيا الدم وانبأس» (Africa Blood and Guts) أو «وداعاً أفريقيا» (Africa Adios). واقتطع منتجون أمريكيون ٤٥ دقيقة منه لم تنقص من بشاعته واحتج عليها منتجوه الطليان. وتجد الجزء عن مقتلة العرب في زنجبار وتنجانيقا على اليوتيوب متى أدخلت «زنجبار» و مترادفاتهما.

(2) Clayton, 78.

(3) Glassman, 282.

المحرقة التي مر بها. وهو عدد قال كليتون إنه ربما زاد قليلاً جداً عن عدد القتلى الفعلي ولكنه مقبول. وحدث موت لاحق خلال ترحيل العرب والهنود القسري من الجزيرة⁽¹⁾. ومن جهته ذكر قيتس في مسلسله التلفزيوني عن أفريقيا، حلقة ساحل أفريقيا الشرقي، إنه جاء إلى زنجبار في ١٩٧٠م وما يزال الدم العربي الراغف هاجساً. وقدر أن الضحايا القتلى ب ٥٠٠٠. وقدرت ساندرا لوكوود أن القتلى منهم والمهجريين عنوة هو بين ٥ ألف إلى ١٢ ألف زنجباري معظمهم من أصل عربي⁽²⁾. أما كليتون فيقدر أن القتلى كانوا بين ٣ ألف إلى ١١ ألف⁽³⁾. ولو حصلنا على تقدير لقتلى جزيرة بمبا غير المحصورين، ولو حدساً، ل زاد الضحايا عدداً. كما قد يزيد من عددهم أولئك الذين ماتوا في وقت متأخر جراء جراحهم أو عذاب معسكرات الاعتقال⁽⁴⁾. والخلاصة أن العرب الذين كان تعدادهم ٥٠ ألف في زنجبار عام ١٩٦٣م، سدس السكان، نقصوا فصاروا ما بين ١٢ ألف و ١٥ ألف بسبب القتل والتجهير والهروب⁽⁵⁾. وتفرق عرب زنجبار فمنهم من هاجر إلى مصر ودبي والكويت. ولكن عمان لم ترحب بهم إلا بعد انقلاب ١٩٧٠م فيها ونجح أكثرهم في مقاماتهم الجديدة رغم أن لغتهم كانت السواحيلية لا العربية.

(1) Clayton, 81.

(2) Lockwood, 13.

(3) Clayton, 81, footnote 63.

(4) Clayton, 81.

(5) Clayton, 99, footnote 99.

وبلغ عددهم في عمان ما بين ٨-١٠ ألف. وبقي من العرب في زنجبار من تصالح مع ضياع مجده السالف. ووصفهم صحفي: «لقد غاض الغرور الذي اتسموا به أيام حكمهم الجزيرة. فالتخجيل الذي رماهم بطرف غضيض والخمول الطارئ على طريقة حملهم أنفسهم يخيم على غدوهم وراوحهم في الأزقة الضيقة ويطبع وسط المدينة بجو الجيتو». واستعادوا لحمتهم بالمجتمع بجامع الإسلام والتذرع بأصل أفريقي وبعناية مصر بهم.⁽¹⁾

وكان القتل على الهوية العربية. فنقل كليتون عن عربي ما رواية ما وقع له فقال: «قاموا بقتل كل العرب الذين طالوهم. وشقوا حناجرهم وهم في نومهم. وهرب منا من هرب إلى المراكب. ولكن طارد والدتي جمع من الثوار. على شاطئ البحر برغم أن والدتي أفريقية. فخاض والدائي الماء إلى المراكب ولكن بغض المطاردين لحقا بهما وأمسكوهما من شعورهما وأغرقوهما»⁽²⁾. وتسابق العرب إلى البحر للنجاة مما أثبتته الفيلم الوثائقي «وداعاً أفريقيا».

ووصف كليتون «حقول الموت» الزنجبارية وصفاً مؤثراً. فقد وجه أوكيلو عصبته الثورية ألا تأخذها شفقة بالمانقا (العرب حديثو الوصول لزنجبار) بالذات. وكان الأوفق حظاً من أعقل ووضع في معسكرات للغرض ثم حملوا بعدها إلى

(1) Clayton, 99.

(2) Clayton, 78.

جزر مطرفة وعانوا من الشمس والجوع والعطش. وصاروا يدفنون كل خمسة في قبر من حجم متوسط في جبانات ما. وهناك جثث رميت في الآبار. ودُفن الباقون في مقابر جماعية جاءوا بطبيب من البر الأفريقي للإشراف عليها. وانتهز أهل الثارات الوضع لتصفية ما بهم من موجدة. وهُوجمت منازل الآسيويين وسُلبت. وقتلت عائلات عربية بأكملها في الأكمة. وفي أحياء العرب بغرب جزيرة أونقوجا (كبرى جزائر زنجبار) ترى خرائب البيوت صفاً صفاً وعلى النوافذ الهشيم رايات بيضاء طلباً للاستسلام. وهكذا تضرمت نار الكراهية التي هي إرث من الماضي وتناغمت بتطرف مع حمى السياسة الانتخابية للعشر سنوات الماضية التي سبقت استقلال البلد في ١٩٦٣م وأخرجت أثقالها في مذابح بالجملة. وكلما تعاظم العنف صار قدراً^(١) لا منجاة لأحد منه. وصار الجميع شركاء فيه كمن توائقوا فيه بذنب مشترك إلى حد ما. وحملت المذابح والحرائق طابع اليوقرمز (pogroms) في التاريخ الأوربي. وبلغ عدد القتلى عدة الآلاف.^(٢)

ولرسم شراسة الهولوكوست العربي وصف كلايتون زيارة لأوكيلو لجزيرة بمبا في ٢٢ يناير. وكانت بمبا لم تتحمس للثورة بل عرضت على السلطان والحكومة المخلوعين ممارسة عملهما من أرضها. فركب لها أوكيلو مركب «سيد خليفة»

(1) Clayton, 80.

(2) Clayton, 81.

السلطانية التي صار اسمها «جمهوري» بفرقة تعزف الموسيقى العسكرية البريطانية⁽¹⁾. وأعمل قتلاً وضرباً في أهلها. واستعمل في عرب بمبا أسلوب الإزراء. فعصبتة تهين الناس وتجلدهم على الملاً فيبطحون الهنود والعرب على الأرض ويقصون ذقونهم ويجزون شعورهم علاوة على اغتصاب النساء والفتيات ونهب الدور والمتاجر. وكان الموكندي، وهم عمال وافدين من شعب بموزمبيق، شرسين في كل ذلك. ولم يسلم من الإزراء حتى أحد كوادر الحزب الأفروشيرازي (المفروض أن الثورة تمت باسمه كما سنرى) من الهنود صادروا داره وحلقوا رأسه وجعلوه يمسح الطرقات لينظفها في الظهيرة مثل بقية الآسيويين.⁽²⁾

سنقف وشيكاً على الطريقة التي تخلص بها الشيخ عبيد كرومي، رئيس مجلس الثورة ورئيس زنجبار لسنوات ١٩٦٤م-١٩٧٢م، وحزبه الأفروشيرازي من الفيلد مارشال السفاح أوكيلو فوقفت حمامات الدم. ولكن الأذى لم يرتفع بالكلية عن العرب والهنود. فتواصل في عهد كرومي تطهير الخدمة المدنية من الآسيويين والعرب وأغلقت المدارس الخاصة بهم. وهاجر كثير منهم أو أعد نفسه للهجرة. ونجح بعضهم في تسفير جواهره وأمواله إلى الخارج ولكن في معظم الحالات تركوها أو صادرها الجمرك حين تفتيشهم. وأحلوا تلامذة

(1) Clayton, 88.

(2) Clayton, 90.

أفريقيين محل التلامذة العرب والآسيويين في مدارس الحكومة. وأعيد تسمية تلك المدارس بأسماء قادة الحركة الوطنية الأفريقية مثل لوممبا ونكروما وأبوتي وكاسترو وناصر وبن بيللا بدلاً من أسماء الإنجليز والسلاطين.⁽¹⁾

واستمر التضييق على العرب والهنود. وقال قيتس في فيلمه عن زنجبار إنه قد صدم لقرار من مجلس الثورة رخص لقائدها وآخرين نكاح بنات الهنود والعرب أو الزواج منهن على المشيئة. ووصف الإجراء بأنه «شاذ» شهد بأن بوسع الأفارقة ارتكاب العنصرية والنخاسة المعاكسة. وتوالت الأوامر مثل قانون الاعتقال التحفظي الذي قنن معسكرات العرب القائمة التي حوت ٢٢٠٠ معتقلاً. ولم يكن بين المعتقلين آسيويون لأنهم تركوا زنجبار وجرى تجريدهم من مالهم سوى ١٠ جنهات إسترلينية. ورتب مجلس الثورة لتهجير العرب والمائنا بخاصة. وكان المأمول أن ترحلهم البحرية البريطانية وخببت الظن. وأوكل ترحيلهم لمقاولين ينال الواحد ٩ جنيه إسترليني على الرأس. وزحم المقاولون المراكب فوق ما تحتمل حتى أن موظفاً بريطانياً بالميناء لم يوقع على تصريح السفر لها ولم يُسمح للصليب الأحمر أن يشرف على التهجير. وزودوا المراكب ب ٦٠٠ جالون من الماء لرحلة تمتد لست أسابيع. وطلبوا من سفن التجار الغربيين أن تراقب المراكب وتعين

(1) Clayton, 110, footnote 138.

بالأكل والشراب متى احتاجوا له ولكن لا شيء عدا ذلك. وأنقص هذا التهجير سكان زنجبار⁽¹⁾ العرب ٥٠٠٠ نسمة أخرى غير الذين أخذوا الزوارق قبل التهجير فيما سمي تفكها ب «vc10s» (وهي نوع الطائرات التي كانت للخطوط الجوية البريطانية وقتها).⁽²⁾

(1) Clayton, 98.

(2) Clayton, 99.

(ب)

رب الأفارقة، ثورة أم غزوّة؟

لم تكن الثورة في ١٩٦٤م وطنية زنجبارية في المعنى المعروف للوطن-الأمة ككيان لشعب ذي سيادة على رقعة جغرافية. فقد قام بها يوغندي هو الفيلد مارشال أوكيلو في عصبية من أهل بر أفريقيا. وعليه ربما كان وصف تلك الثورة الأقرب لواقعها هو أنها «غزوة»^(١) للجزيرة من البر الأفريقي استعاد بها قطعة منه سادها المستوطنون العرب والهنود وغيرهم. فقال كليتون إنها ثورة صنعها البر الأفريقي لمصلحة آخرين ويعني بهم أفارقة زنجبار.^(٢)

ولم يأل الجبار الفيلد مارشال أوكيلو حرصاً أن تكون عصبته العسكرية خالصة من أهل بر

(١) الريامي، ٥٠٤.

(٢) Clayton, 51.

أفريقيا. وكان اعتقاده أن أفارقة زنجبار ممن لا يوثق فيهم لرباطتهم الوثيقة بالعرب، بل لقرباتهم بهم، فيمكن لهم أن يكونوا جواسيس يفسدون التآمر. وأفارقة القارة البر الأصل، في نظره، براء من هذه الخساسة⁽¹⁾. ولذا أختار ممن تطوعوا للانقلاب معه ٣٠ زنجبارياً من بين فريقه المكون من ٣٣٠ متطوعاً⁽²⁾. وانضم إليه شرطة الجزيرة التي قوامها أفارقة البر (٢٧ من كينيا، ٤ من تنجانيقا، ٣ من أوغندا، ٢ من ملاوي، ٣ من روديسيا، وواحد من موزمبيق و٢ فقط من زنجبار) الذين كانت حكومة زنجبار الجديدة المستقلة فصلتهم في نهاية ١٩٦٣م شكاً في ولائهم ولم تحرص على دفع مستحققاتهم لإخراجهم من الجزيرة. وكان من أشرس عصب أوكيلو الماكندي وهم من موزمبيق ولهم تاريخ في التمرد والاحتجاج.⁽³⁾

ولم تكن الثورة إحساناً لأفارقة زنجبار فحسب بل إنهم فوجئوا بها. فصناعها لم يستأذنوا أصحاب المصلحة الحقيقية للقيام بها. فلم يعلم رموز المعارضة الزنجبارية بخبرها ناهيك عن تنظيمها. وقيل إن كرومي سمع بها همساً فأبلغ قيادة الشرطة الإنجليزية في الجزيرة لتبرئة ساحته متى قامت وانتكست⁽⁴⁾. وكان يغط في نومه حين

(1) Okello, 177.

(2) Okello, 50.

(3) Clayton, 90, footnote 57.

(4) Clayton, 68.

أيقظه رجال أوكيلو وأخذوه صباح يوم الثورة
الباكر إلى دار السلام بزعم سلامته متى ما أخفقت
الثورة. وحدث نفس الشيء لعثمان شريف، غريم
كرومي في الحزب الأفروشيرازي، أيقظه مسلحون
وطلبوا منه أن يبقى معتزلاً الناس لساعات. كما
وضعت عصابة أوكيلو قادة حزب كرومي تحت
الحماية الثورية⁽¹⁾. أما الذي أيقظ عبد الرحمن
بابو، زعيم حزب الأمة الماركسي، فهو السفير
الكوبي لدى تنجانيقا. وكان بابو الثوري أرسل
نخبة من حزبه للتدريب على السلاح في كوبا
بتنسيق مع ذلك السفير. ووصلوا قبل الثورة
بأيام في دار السلام التي جاءها بابو نفسه يوم
٨ يناير ملاحقاً من قبل حكومة زنجبار. ولكن
كلايتون لا يعتقد أن بابو كان له الوقت، والحال
على ما عليه، ليدبر لثورة مسلحة. كذلك استبعد
أن يكون عبد الله قاسم هنقا، أمين عام الحزب
الأفروشيرازي، مدبراً للثورة برغم أنه كان وثيق
الصلة بكمبونا وزير الدفاع القوي في تنجانيقا. وقد
خصص كمبونا بعض السلاح القادم من الجزائر
لمساعدة ثوار موزمبيق، حركة فرليمو، ليكون
بيد هنقا في زنجبار. ولكن لم يظهر من ذلك
السلاح شيء بالجزيرة⁽²⁾. وربما استغربت السفارة
الكوبية، في قول كلايتون، إيقاظ فتاها بابو لنبا

(1) Clayton, 75.

(2) Clayton, 70.

ثورة لا يعرف عنه شيئاً⁽¹⁾. ووجد كرومي نفسه مثله في ذلك هنقا وبابو في دار السلام مضطربين حيال الأحداث التي تجري في بلدهم⁽²⁾. وروى عن فرط «هامشية» كرومي خلال أيام الثورة الأولى أن مسؤولاً بريطانياً، جي ريمر ضابط التعليم في الجزيرة، رآه يزحف على ركبته على الأرض بأمر أوكيلو ليقبل قدم الفيلد مارشال⁽³⁾. واتفق بابو وكرومي وهنقا أن يعودوا لزنجبار في ١٣ يناير بعد سماع أسمائهم تذاع أعضاء بمجلس قيادة الثورة. بل كان حظ كرومي الرئاسة. وبعودة كرومي صار للثورة وجهاً زنجبارياً⁽⁴⁾.

وليس أدل على عزلة كرومي وهنقا عن الثورة التي تمت باسمهم، وصاروا على رأس هرمها الحاكم، من اللقاء التلفزيوني الذي عقده صحفي إنجليزي وجمعهما مع الفيلد مارشال أوكيلو في زنجبار والثورة على أشدها في أيامها الأولى⁽⁵⁾. ولن يخطئ المشاهد أن أوكيلو كان في مركز المواجهة وترك للآخرين الأطراف. وأظهر بابو، الذي كان يترجم لكرومي وأوكيلو من الإنجليزية إلى السواحيلية وبالعكس، حساً فكاهياً فرقع فيه بضحكات حسبتها نابئة بالنظر لما كان يجري من تقتيل

(1) Clayton, 82.

(2) Clayton, 75.

(3) Clayton, 85-86, footnote 71 and 86.

(4) Clayton, 82.

(5) www.youtube.com/watch?v=sMDkCSC-5g.

فظ خارج قاعة المقابلة. وقال في المقابلة إنه لم يدر بالثورة إلا في صباحها. وحين لَح له الصحفي بصلة شيوعية كوبية قال إن السفير الكوبي سأله، حين علم بالثورة، إن كانت لديه فكرة عما يجري في الجزيرة. وقال إنهما كانا شركاء في الجهل بالواقعة. ولم يطرف جفن لكرومي، الذي علم بخبر الثورة وتحوط لانكشافها بذريعة كما تقدم، يجيب عن سؤال للصحفي عما دفعه لخيار الثورة. فاشتكى أن حزبه، الأفروشيرازي كما سنرى، نال أكثر أصوات الناس (54%) في آخر انتخابات في ١٩٦٣م ولم يحكم. وعليه فالحكومة المخلوعة كانت حكومة أقلية. وجاء بابو بعبارة «hanky-panky» (خداع وغش) في ترجمته ليصف لعب الحكومة الماضية بإرادة الناخب. ثم سأل الصحفي أوكلو، الذي وصفه بأنه لا يثق بغير من لم يكن دمه زنجياً حراً، عن سابق خبرته التي جعلته على رأس الثورة وكيف أكتسبها. فكان رده أن من تَرَبَّه هو رب الأفارقة ومن زوده بالخبرة هو رب الأفارقة وأنه نجح بفضل رب الأفارقة. وأثارت العبارة الدبلوماسية، التي أخفى فيها نفسه بالكلية، الضحك. واستحسنها بابو للدرجة التي أعاد إنتاجها في نفس المقابلة. فحين سئل إن كان الشيوعيون ساعدوه في حزبه، حزب الأمة، نفى ذلك وقال إن إله الأفارقة وحده من أعانه. ولم ينتبه لتدوير العبارة الذكي من كانوا من حوله.

يشير فهمنا لثورة ١٩٦٤م كـ «غزوة»، لا «ثورة».

مسائل دقيقة في ديناميكية القومية الأفريقية الزنجية التي تقصر القارة على الزنج دون الأقوام التي تداخلت معهم عبر التاريخ. فنجد قلاسمان قلب النظر في نفع التضاد الذي يفرق بين «عرب» و «أفارقة» الذي هو أس القومية الأفريقية العرقية. ففي أفريقيا يتعمق مطلب الانتساب لقوميتها (أي مواطنيتها) عن طريق الانتماء لأرضها كما لم يكن الأمر في أوروبا. والسبب أن حس أفريقيا القومي تكون في مواجهة غزاة استعماريين، أي أجانب⁽¹⁾. فالقومية العرقية للأفارقة، الذين عانوا ويل الاستعمار، كانت أفضل خياراتهم لمصادمة السيادة البيضاء المذلة. ولكن ما يعترض عليه قلاسمان هو تجميد مصطلح هذه المواجهة مع الاستعمار الأوربي وكأنه جوهر كل الماضي الأفريقي. فبدلاً من تحرى كيف دخلت هذه المصطلحات في الحوار في ظرفها المحدد، وكيفية تبني جيل الأفريقيين النشاط لها في التاريخ، تجدنا سلماً بها كأمر لا محيى عنه.

فتقسيم شعب السواحيلي على ساحل شرق أفريقيا إلى عرب وأفارقة هو ثمرة مباحث نشطت خلال الفترة الاستعمارية ساد فيها السؤال: «من هم السواحليون؟». فوجد الباحثون أنهم سود ويتحدثون لغة أفريقية من أسرة لغات البانتو في أصلها ولكنهم مسلمون حنفاء (كوزموبولتانيون) وجهتهم الثقافية المحيط الهندي. واتفق للباحثين

(1) Glassman, 299.

على ذلك تصنيف للسواحليين مفاده أنهم لا عرب ولا أفارقة. ولبلوغ هذه النتيجة حَكَم الباحثون استقطابهم لهوية «العرب» في مقابل «الأفارقة»⁽¹⁾. ولكن منذ الستينات مال دعاة العرقية الأفريقية إلى تصنيف ثقافة الساحل وشعبه كأفارقة وعضوا الطرف عن «العرب» بصورة كاملة. وصارت مشكلة الأفارقة الزنوجيين كيف يصرفون النظر عن تأثير المحيط الهندي من مثل الإسلام واللغة العربية الذي كان مصدر هوية مثقفي الساحل الأفريقي ورنجبار واعتزازهم.

لا غلاط أن ثورة رنجبار في ١٩٦٤م واقعة أسفرت فيها العنصرية الأفريقية بجلاء جلي. فقد غلبت بها السيادة العرقية على السيادة الوطنية في رنجبار. وشخص ملحمة السياتين الدموية الدكتور على مزروعى بملكته غير العادية لدرجة (من دراما) السياسة بقوله إن تمكين السيادة العنصرية الأفريقية صادمات حقائق رنجبار الوطنية صداماً استدعى قيام أجنبي هو الفيلد مارشال بقيادة ذلك التمكين وتنفيذه بثمان باهظ. فأوكيلو أجنبي على رنجبار كما ذكرنا بأكثر من السلطان الذي أطاح به بتهمة أن جلالتة عربي غريب ديار. فالسلطان مولود كرنجباري، وكذلك كان أبوه وجده وجده لأبيه. ولكن من جهة الهوية الإثنية الزنوجية فالسلطان هو الأجنبي المرتجل: بعض عربي، وبعض أفريقي، وأكثر رنجبارية من الرجل

(1) Glassman. 300.

الذي أنهى دولته ولكنه أقل أفريقية من أعدائه. فإذا كان «الغريب الحكيم» في الأساطير مُدْخِرٌ لِحل العُقد وتأليف الناس بعد خصام وحقن الدم في شرايين التاريخ فـ «الغريب الزنيم» مثل الفيلد مارشال أوكيلو، من شعب اللانقا اليوغندي، قادم برايات الثأر ومنطوياته وتأجيج نار التاريخ ودفق الدم من شرايينه على الأرض.

لم يكن بوسع أفريقيّ زنجباري القيام بما قام به الفيلد مارشال لأن أفارقة الجزيرة تداخلوا واحدهم في الآخر. فلفتهم السواحيلية ودينهم الإسلام وثقافتهم ساحلية. ولكنهم باتوا ينكرون هذه الخصائص التي جمعتهم بالعرب عند ثورة ١٩٦٤م. وساغ أن يكون المنكر الأعلى صوتاً في الأطوار الأولى من الثورة من موضع بعيد عن زنجبار ليرمز لنقاء التحدي الأفريقي القح للعرب. فالغريب الفيلد مارشال لا تربطه رابطة ثقافة أو دين أو تزواج بأفارقة زنجبار. فما يجمع بين غالبية الزنجباريين الأفارقة والزنجباريين العرب فوق ما يجمعهم مع الثوري من شعب اللانقا اليوغندي. ولكن الذي كان على المحك في تلك الثورة هو السيادة العرقية لا السيادة الوطنية. فإذا ما حكمنا قواعد السيادة الوطنية كان الشيخ على محسن، قائد حزب زنجبار الوطني الذي أطاحت الثورة بحكمه، أكثر زنجبارية من جون أوكيلو. ولكن متى طبقنا قواعد السيادة العرقية فحقيقة أن أوكيلو أفريقي في معنى أنقي وأدق من محسن

والسلطان كليهما هي الحقيقة المقدمة. فاللانقي
اليوغندي الفيلد مارشال في جزيرة القرنفل كان
رمز الأفريقية الخالصة.⁽¹⁾

وكانت سياسة زنجبار من فرط استقطاب
«العرب» و «الأفارقة» قد تجمدت على خلاف عظيم
تهياً غريب زنيم لفض عقده بإراقة الدم على
جوانبه. وكان ذلك هو الفيلد مارشال أوكيلو.

الفيلد مارشال، الغريب الزنيم:

وأعرض في هذا الجزء من الورقة بروفايلاً
للفيلد مارشال جون أوكيلو كغريب زنيم استدعاه
تاريخ زنجبار ليلعب دوراً ثالثاً لا مكان له في
دراما مفروض أن تقتصر على لاعبين اثنين: أفارقة
زنجبار وعربها. ولن نرى في هذا البروفایل طفيلية
الفيلد مارشال الفادحة الدامية فحسب بل كيف
انتهى دوره الزائف في لمح البصر وخرج من المشهد
يجرر أذيال الخيبة.

جون أوكيلو أوغندي الأصل هجر التعليم في
بدئه بالصف الرابع الابتدائي بسبب وفاة والديه.
ثم تقلبت به المهن وترحل في البلاد حتى بلغ
زنجبار عبر كينيا في ١٩٥٩م. وأحتك في كينيا
بالحركة الوطنية على أشدها خلال خمسينات
حركة الماو ماو بعنفها وعنف الإنجليز المضاد
الفظيع في كسر شوكتها. وكان شديد الاعتقاد بأن

(1) Glassman, 300.

زنجبار أفريقية أعطاها لهم الله القوي ولكن
تهاافت عليها البرتغاليون وبعدهم العرب بدعم من
الإنجليز. وسيذهب الإنجليز ولكن العرب يدعون أن
الجزيرة لهم إلى قيام الساعة.⁽¹⁾

وانعقدت لأوكيلو خلال هذه الرحلة مهمة «المخلص»
للأفارقة من نير الاستعمار الغربي والرق العربي عبر
رسائل من رؤى انتابته في نومه. وبداية تلك الرؤى ما
طراً له في ممباسا. وكان عربي ما أحسن إليه بموضع
للمبيت ذات ليلة ولكن حذره من الشخير. وأردف
تحذيره بقوله له: «يا عبد» كما مر. وحلم ليلتها بمن
قال له إنك ستعبر إلى جزيرة بالمحيط الهندي ونهه
إلى أن يحذر لأنه سيعاني الأمرين على يد أجانب.⁽²⁾
وعاودته الأحلام وهو يستشفى في مركز طبي فقال
له القائل إنك لن تموت لأن الرب منحك القوة لتستنقذ
السجناء والرقائق وأن تجعل من لا يفقهون يفقهون.⁽³⁾

وتلك السفرة التي رآها في الرؤيا هي التي
أخذته إلى جزيرة بمباسا من زنجبار. فعبر المحيط
إليها عام ١٩٥٩ م. وغالبهم الموج في القارب الذي
أقله للجزيرة فدعاه العرب أن يصلي معهم طلباً
للسلامة فرفض. ورأهم يرمون برقيهم في الماء
فما أجدت. فصلى هو لربه فانخفض الموج وسلم
الركاب.⁽⁴⁾ وذكّرنا كليتون بأن أوكيلو إنما يترسم

(1) Okello, 102.

(2) Okello, 62.

(3) Okello, 66.

(4) Okello, 68-69.

في رحلته تلك خطى سنت بول الذي لاقى الأمرين من البحر في سفره لمالطا⁽¹⁾. ثم وطن أوكيلو في رسوليته في بمبا حالان: مرض معاود وصلاة مع طائفة الكويكرز التي قال إنها عمدته طفلاً في ١٩٣٧م وسموه قيدون مما مكن لصورته كمخلص يدق أعناق الكفرة⁽²⁾. ولاحقاً كان يُرهب، في قوله، خصومه مثل بابو، زعيم حزب الأمة، وغيره بزعمه أنه تلقى تكتيكات الثورة عن الإنجيل ويفخر بأنه قادر على تفسير الأحلام وأنه كان قائداً لكتيبة للماماو ثوار كينيا الذين قاتلوا المستوطنين البيض في الخمسينات الأولى لاسترجاع أراضيهم منهم⁽³⁾.

وما استقر في بمبا حتى استشعر مهمته، التي صقلتها تربيته السياسية خلال إقامته بنيروبي، وصار يجتمع بالأفارقة ويحرضهم على التناصر ضد العرب⁽⁴⁾. وعادته الرؤيا خلال ذلك النشاط السياسي فجاءه من يحثه على الثبات في المهمة قائلاً إنه لم يُخلق أحد ليكون عبداً وأن من صاروا رقيقاً صاروه بغير إرادتهم. وزاد بأن الرب، الذي خلقه بغير أب أو أم، خصه بتوثيق عُرى جماعته الأفريقية واستنقاذها⁽⁵⁾. ولما قرر أن يسير إلى زنجبار وجد فكرة الثورة التي هيأ نفسه

(1) Clayton, 51.

(2) Okello, 52.

(3) Clayton, 86, footnote 71.

(4) Okello, 72.

(5) Okello, 73.

لها في رسالة سنت جيمس بفصلي الإنجيل الرابع والخامس. وحوت الرسالة اللعنة على الأثرياء وكنزهم المال من عرق عمالهم وإتباعهم شهواتهم ونسيانهم الرب الذي سيأتي لا شك. وعدّل أوكيلو في النص تعديلاً أثبت قيامه به في هامش الكتاب. وفي نص التعديل هجوم على الإمبرياليين والزانيات والزناة، عداة الوطن، الذين يوادونهم. فمن واد الإمبرياليين عدو للوطن.⁽¹⁾

وجاءته رؤية خلال إعداده للقوة التي ستقوم بالثورة طلب فيها الرب منه أن يقوم بطقس يمكن له في الأرض. فقال له الرب: «جون أوكيلو انهض وأخرج إلى النهر المتحدر في متوني (موضع بجزيرة أنقوجا بزنجبار) ولا تخشى أحداً. أدخل النهر برجلك اليمنى وأمش خطوتين واتجه لليمين وأمش ياردات ثلاث وأنحني وأنشر يدك اليمنى في الماء. وخذ الشيء الأول الذي تتهبشه. وستجده حجراً ألوانه أسود وأبيض وأحمر. فعد به إلى بيتك ولن يمر بك أحد حتى تبلغ دارك. فإذا كنت في بيتك خذ قطعة من كل لون من الألوان الثلاثة واطحنهن حتى يصرن مسحوقاً. فصب ماء في زجاجة وضع المسحوق فيها وأغلقها جيداً. ثم خذ بقية الحجر وضعه في مكان آمن وغطه بقماشة سوداء تكون ثقبها من قبل ليبلغ الهواء عبر الثقب تلك البقع السوداء على الحجر. ثم خذ الحجر ولفه جيداً وأذهب به إلى ضفة نهر فيكونقوني بالقرب من

(1) Okello, 86-87.

دارك وأتركه هناك وعد لدارك وأخلد للنوم».

ولما صحا أوكيلو بعد الحلم لم يفهم مفرداته ولكن نفذه بحذافيره. ولما نام ثانية حلم بمن يقول له: «أمر رجالك لقتل قطرة سوداء وكلب أسود. والشرط أن يكونا سوداوين لا يفسد سوادهما لون آخر. ولا تقتلها بالعصي أو الأحجار بل اقطع عنقيهما حتى يسيل الدم في إناء فخاري يكون أسود أيضاً. فهشم الرأسين وخذ المخ وأمزجه بالدم في الإناء⁽¹⁾. وأضف لهذا الحجر الذي سحقته وخلطته بالماء مقدار نصف زجاجة منه. وقال له الحلم إنك ستدعو رجالك للقفز ثلاثاً من فوق هذا المزيج، الذي ستصبه عبر الشارع الذي سيقطعونه خلال القتال. فالحجر يمثل الأفارقة تحت حكم العرب والأوربيين، والدم هو للأفارقة الذين ماتوا قبل نخاسة العرب وخلالها، والدم الذي سيقطر من الاستعماريين أنفسهم، ولن يأت ذلك الدم من أيدي رجالك أو منك. ويمثل نزيغ المخ بسالة الجنود الذين سيقاتلون معك. وأما الحجر الذي أخفيته فهو مصدر قوتك وشجاعتك. فلن يقدر أحد على إيذاك. وحذره أن يكشف مفردات ذلك الطقس لجنده إلا بعد الثورة. وقال له رجل الرؤيا إنه كشف له مسار الطقس لأنه رأى عمق خاطرة قلبه وجهده الذي سينقذ به شعبه. وجعل أوكيلو جنوده ينطون الدم كما أمر الحلم مع القسم بأن يقاتلوا حتى الموت. وقال أوكيلو إنه استغرب لأنه لم يجد الحجر المؤمن حين بحث عنه بعد الثورة.⁽²⁾

(1) Okello, 133.

(2) Okello, 133.

واجتذبت أوكيلو السياسة في زنجبار وصار
عضواً في الحزب الأفروشيروزي. واشترك بحماسة
يدعو لحزبه في انتخابات يناير (١٩٦١م)^(١).
وكان من رأيه أن حزب زنجبار الوطني الداعي
للاستقلال التام إنما يتذرع به ليفرض هيمنة
العرب^(٢). وسمى ذلك استبدال سيد بسيد^(٣). ولذا
كان يركز في خطبه على التخلص ممن استعمروا
أفريقيا جميعاً^(٤). وطلب أوكيلو الاستقلال عن
الإنجليز، خلافاً لقادة الحزب الأفروشيروزي،
ليخلص له الصراع صافياً: أفارقة ضد عرب. ووجد
الأفارقة في خطبه إلهاماً لأنهم كرهوا تصويت
بعضهم للعرب ووثقوا فيه بأنه الخبير برفع لعنة
الاستعمار العربي الذي يطأهم بظله الثقيل^(٥).
وتبين لأوكيلو أن شقاق الأفارقة حيال العرب، الذي
يُقَسَم قادتهم، هو الذي يحول دون ثورة الأفارقة
في زنجبار. وكان الأفارقة بحاجة إلى قيادة بديلة
تحل محل قادتهم الغارقين في خلافاتهم^(٦).

ثم أخذ أوكيلو يعد للثورة بين النقابات التي كان
طرفاً فيها^(٧) وبالتعاون مع قطاع الشباب بالحزب

(1) Okello, 79.

(2) Okello, 80.

(3) Okello, 85.

(4) Okello, 80.

(5) Okello, 87.

(6) Okello, 93.

(7) Okello, 99.

الأفروشيرازي⁽¹⁾. وجاء في كتابه بصور من مكاتباته مع زعيم قطاع الشباب بالحزب، سيف بكري. وعرض عليهم إسقاط نظام السلطان بالقوة وأن لا يطلعوا زعيمهم كرومي على الخطة خشية أن تنفضح ويتحمل التبعة⁽²⁾. وظل يبشر في لقاءاته ألا يجهل الأفارقة حقيقة أنه لم يعد ثمة سبيل للحرية سوى سفك الدم⁽³⁾. وصار يحظى من أنصاره بلقب «المخلص»⁽⁴⁾. ومن بعض أحاديثه للتعبة تذكير جمهوره بالأغلال التي صفدتهم خلال حقبة النخاسة وبمقابر أجدادهم التي ما تزال شاهدة على قسوة العرب: «لقد انصب دم أجدادكم تحت حكم العرب أفتريدون أن ينصب دم أبنائكم بنفس الطريق؟» وكان يذكرهم بأن أرحام جداتهم كُنَّ يفتحن لترى المرأة العربية كيف يقبع الجنين بين جنباتها. ويسألهم إن كانوا يعلمون أن سلفهم ذبح تحت تلك الأشجار حتى ترى نساء العرب كيف يسقط الرجال صرعى وموتى. وكان يسأل سامعيه: «أليس هذا هو الموضع نفسه الذي شهد ضيم أجدادكم؟»⁽⁵⁾. ثم وجههم لطرق الثراء عن طريق نهب متاجر العرب. «فستكون لكم متى ما قاتلتهم لوضع يديكم عليها»⁽⁶⁾.

بعد عرض للسبل التي استولى بها على

(1) Okello, 100.

(2) Okello, 101.

(3) Okello, 105.

(4) Okello, 107.

(5) Okello, 92.

(6) Okello, 92.

السلطة في زنجبار قال أوكيلو إنه بدأ في تكوين حكومة الثورة عند ظهيرة يوم الثورة يوم ١١ يناير ولم يحرص أن يكون رئيسها⁽¹⁾ بل عقد الرئاسة لكرومي واكتفى بقيادة الثورة ووزارة الدفاع. وتشكلت الحكومة من أعضاء من الحزب الأفروشيرازي ماعدا بابو زعيم حزب الأمة الذي بعضه عربي. واستدعاه من تنجانيقا لأنه لا يريد له أن يعاني خارج زنجبار. علاوة على أنه كان قد انقسم على حزب زنجبار الوطني الحاكم قبل الثورة فكسبه للنظام الجديد خطة طيبة لوضعه تحت الرقابة.⁽²⁾

وعاد كرومي، الذي سبق أن قال أوكيلو إنه هزبه لدار السلام فجر ليلة الثورة بغير أن يعرف ما في الخبيثة، للجزيرة بعد إن أخطر نايريري بأن الوقت قد أزف ليعود الزعيم بالنظر إلى وضعها الأمن. فعاد هو وبابو بطائرة حكومية (تنجانيقية) وحفهم لدى وصولهم جند أوكيلو يهتفون بالسواحينية «الحرية والجمهورية»⁽³⁾. واستقبلهم أوكيلو وقال لهم إن تحريره لزنجبار هو البداية لتحرير كامل أفريقيا التي شغلت استراتيجيات الأمريكان والإنجليز. فوافقه كرومي بقوله إن زنجبار كانت سوقاً كبيراً لتجارة البشر بطرق لا يدرك كنهها سوى الله. وأضاف أن الزعيم شكره

(1) Okello, 147.

(2) Okello, 149.

(3) Okello, 166.

على مبادرته التي قال إنه يستعصي على المرء فهمها. وسجد بابو على الأرض أمام أوكيلو لأنه ليس بوسعه أن يعبر عن شعوره بالكلمات. فطلب منه أوكيلو أن ينهض. وأخذ كرومي للإذاعة ليقدمه كرئيس لجمهورية زنجبار الشعبية. وتحدث كرومي فشكر الفيلد مارشال الذي ساقطهم حكمته إلى غاية ما كان بوسعهم أن يبلغوها لوحدهم⁽¹⁾. ثم اجتمع أوكيلو وكرومي وحدهما. وتجسد في اللقاء اعتقاد كرومي أن دافع أوكيلو للثورة ليس الوطنية الزنجبارية وإنما المنفعة. فسأله كرومي عن المرتب الذي يطلبه للخدمة. فرد أوكيلو بمرجعية سياسة أخرى هي مرجعية الجامعة الأفريقية. فقال إنه لا يطلب أجراً لخدمته لأفريقيا ويفضل أن تناقش مسألة المرتبات في مجلس الوزراء.⁽²⁾

لم يكن أوكيلو، الذي ظن أنه محرر أخوته الزنجباريين ومخلصهم من قيد الرق، سوى أجنبي لا مكان لهم في إعراب سياسة زنجبار ولا عقائدها⁽³⁾ كما رأينا في حديث المزروعي وتايدي. ولا يبدو أن رواية أوكيلو عن لقائه بكرومي كما وصفه مما يؤخذ على عواهنه. فالعلاقة بين كرومي وأوكيلو ساءت ربما من يومها الأول. والبادي أن زنجبارية كرومي أمضها شعواء الغريب الزنيم مبعوث، العناية الإلهية لاستنقاذ الزنج من العرب. فلربما

(1) Okello, 167.

(2) Okello, 168.

(3) Martin, 58.

ضغط كرومي على أوكيلو ليووقف حمامات الدم فأجبره ليزيع في ١٤ يناير نداء لعصيته أن تكف عن الحريق والنهب والقتل وإلا عوقبوا بقوة⁽¹⁾. ومن رأي كليتون أن عودة كرومي، الوجه الزنجباري الوطني، إلى الجزيرة كان بداية العد التنازلي لأوكيلو. فتجمعت قوى الحزب الأفروشيوازي، التي لم تشترك في ثورة أوكيلو، حول كرومي. وبدا نجم أوكيلو يأفل. فمناصروه من البر الأفريقي أحسنوا القتال ولكنهم ليسوا مؤهلين لإدارة دولة. ناهيك أنه قام بثورة في بلد هو كافر بربه المسلم وفي وقت إسلامي مقدس هو شهر رمضان. فأنتهز كرومي المناسبة الدينية ليووجه كلمة إلى الزنجباريين ليس في وسع أوكيلو تقديمها إلا بشق الأنفس. ومن سخرية التاريخ أن الكلمة بلغت أفئدة الزنجباريين قاطبة إلا أوكيلو قائد الثورة التي دقت بين شعب الجزيرة إسفيناً. بل وبدا كرومي بخطابه عن رمضان كمن يرسم الفاصل بين الوطنية الزنجبارية والعرقية الأفريقية الزنجية. وزاد كرومي بأن طلب شرطة من جوليوس نايريري، رئيس تنجانيقا، وجاءته لأنه كان يريد أن يتقوى بها على أوكيلو المدجج بعصبه من بر أفريقيا. وبدا أن كرومي وبابو اتفقا على إزاحة أوكيلو. فبعد أن تمردت عصب الأخير خلال عطلة الأسبوع الأول للثورة وجه كرومي أمر الشرطة البريطانية ألا يتلقى أي أمر من أوكيلو. وكان ما أضعف أوكيلو في ساحة الثورة حقاً

(1) Clayton, 84.

أسفاره خارج زنجبار التي رتب كرومي وحلفاؤه أن تكون طريقاً لعزله عن مجريات السياسة في البلد وأن تنتهي بنفسي إجباري. وكانت سفرتة في ٢٠ فبراير إلى دار السلام هي قشرة الموز التي تخلق منها إلى حيث جاء: من بر أفريقيا. وكذلك تخلص كرومي من مساعد الفيلد مارشال المدعو إنجن الذي سلخ جلد شرطي إطفاء تقدم عليه في الدرج. وكان هذا فوق ما يحتمل كرومي فأبعده بنهاية فبراير ١٩٦٤ م.^(١)

وكان نايريري مطلعاً على ما بين كرومي والفيلد مارشال. فخلال سفرة لأوكيلو إلى تنجانيقا في ١٩ يناير ١٩٦٤ م لغرض العلاج التقى نايريري ووزراءه. ونصحه نايريري، الذي ربما تكاثر عليه الضغط الدولي لعمل شيء بخصوص حمامات دم الفيلد مارشال، بأن يمتن علاقته بكرومي. وثار تمرد للجند التنجانيقيين ليلة أوكيلو تلك بدار السلام أيقظه من نومه ووضح له أنهم جنود لم تصرف لهم رواتبهم. ولم ينجح في لقاء نايريري أو نائبه في صباح ذلك اليوم التالي لأنهما كانا في حرز حريز من التمرد. وقال أوكيلو إنه خطب في المتمردين قائلاً إنه يشعر بغبنهم ولكنهم كجند مطلوب منهم الانضباط. وطلب منهم، باسم ثورة زنجبار، إلقاء السلاح. وردوا له التحية بأحسن منها وقرروا وقف التمرد. وعلم بأن العرب في تنجانيقا قتلوا ٦ أفارقة. وأخذ طائرة وعاد للجزيرة. واستقبله كرومي. ثم سافر إلى بمبا وفتشها ووجدها هادئة. وهتفوا له

(1) Clayton, 94.

فيها بحياته. وعقدوا اجتماعاً للمجلس الثوري كونوا فيه مجلساً للوزراء فيه أوكيلو. ورفض أن يحصل على مرتب قدره ١٠ ألف شلناً واتفقوا أن يكون راتب عضو مجلس الثورة ٨٣٣ شلناً شهرياً بينما تصاعدت مرتبات الوزراء ونائب رئيس الجمهورية والرئيس.⁽¹⁾

وصف نجيب رياض الرئيس ثورة زنجبار بأنها «أقل الثورات نفعا في التاريخ»⁽²⁾. ولعل من وجوه عبثيتها المرة أن من أوائل ضحاياها زعيمها جون أوكيلو. فبعد نحو خمسين يوماً فقط في سدة القيادة تدحرج إلى الحضيض وصار غير مرغوب فيه لا في زنجبار وحدها بل في تنجانيقا وكينيا وأوغندا. وأخذت شرطة تلك البلاد تأخذه من حراسة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر لنقص في أوراقه الثبوتية وهو الذي كان يلقي رؤساءها ويتقلب على طائراتهم. وحكى أوكيلو محنته في البر الأفريقي بما يُشَفِّق القارئ حتى على هذا الرجل ذي اليد الملوخة بالدماء. فسيئو القارئ ختل من ورثوا ثورته مثل كرومي أو استثمروها مثل نايريري واعتزاله بلوم ليثم. ولم يكونوا، وهم في منازلهم القيادية السيادية، بحاجة إلى خبائث مثل التضيق عليه بالأوراق الثبوتية.

تحدث أوكيلو في كتابه عن مؤامرات باكرة جداً حيكت لعزله وعزاها لكونه من أفارقة البر وأنه مسيحي أوغر صدور قوم مسلمين ضمن أشياء

(1) Okello, 171-176.

(2) الريامي، ٥٠٤.

أخرى مثل الحسد. وقال إنه تلقى رسالة يوم ٢٤ يناير تنبهه إلى أن سلوكه مناف لسلوك زنجبار الأصلي وعابت عليه احتكاره صنع الثورة. وزادت بأنه كافر تقدم ركب مسلمين وأن نشاطه أدى إلى قتل كثير من الناس المسلمين^(١). وطلب منه الخطاب أن يستعد للرحيل. فبابو مسلم وكذلك كرومي ولا مكان له بينهما. واشتبه أوكيلو في أن الخطاب مرسل من حزب زنجبار الوطني المحلول. ثم كانت بداية نهايته خلافة مع كرومي حول سياسة الأرض. فكرومي يريد للحكومة الاستيلاء على الأرض غير المعمرة بينما أراد أوكيلو تأميم الأرض قاطبة كوعد للثورة قطعه في خطبه بالراديو.^(٢)

وغضب أوكيلو لما كان يقع لأفارقة البر من ضروب الاضطهاد. فقال إنه في اجتماع لمجلس الثورة بتاريخ ١٦ فبراير أساء أحد شباب أعضائه (وكان هو الذي عينه في المجلس) لأفارقة البر. وصار يوقن أن أفارقة زنجبار يجتمعون من وراء ظهره ويسيطرون إليه. وعاد يوماً من زيارة ما ليعلم أن رائداً من كينيا بالشرطة من منفذي الثورة قد طُرد من الجزيرة بغير تحقيق ولا تشاور. وصار يرى الحزازة والعداء ضد الشرطة ممن أصلهم البر الأفريقي. وقال له شرطي من كينيا إنه سمع عضواً من مجلس الثورة يقول لفتاة عربية إن

(1) Okello, 177.

(2) Okello, 177-178.

أوكيلو أجنبى ماكر⁽¹⁾ وسيكون من الصعب قتله ولكنهم سيقومون بأشياء أخرى للخلاص منه. فبث أوكيلو العيون واتضح له أن عداء أعضاء بالمجلس الثوري له كان كبيراً. فقرر أن يذهب للبر الأفريقي ليناقش مع زعمائها تلك المؤامرة. ولكن كرومي طلب منه أن يبقى⁽²⁾. وفسر أوكيلو ذلك بأن وضع كرومي كان مجههاً ويريد له أن يبقى بزنجبار حتى يتقوى به. فسافر أوكيلو في ٢٠ فبراير وودعه كرومي والمجلس الثوري. ولما بلغ نيروبي قيل له إن جومو كنياتا ووزراء آخرين يزورون ممباسا. فقرر أن يزور أوغندا لفترة وجيزة ليرى أخته. ولما نزل في المدينة القريبة من قريته وعرف نفسه قيل له إن بوليس كمبالا يطلب منه أن يمضي إلى عنيتي التي رحب به فيها ملتون أبوتي رئيس الوزراء. ثم عاد إلى كينيا⁽³⁾. وفي نيروبي أخذه اثنان من رجال المخابرات من فندقه إلى المطار لأنه مطلوب أن يكون في زنجبار. وفي الطريق إليه وصلتهما رسالة بأن يعودا به إلى نيروبي التي انعقد فيها اجتماع ضم كنياتا وأبوتي وأودنقا وأودنقا نائب كنياتا. فرحبوا به وسألوه عن أحوال زنجبار وإن كان على وفاق مع كرومي. فقال لهما إنهما على وفاق ولكن ثمة «أفاع» تفسد ما بينهما. فكرومي يرخي لهم أذنه يظن أنهم أهل ثقة يتجمل بهم

(1) Okello, 197.

(2) Okello, 180.

(3) Okello, 181.

مثل ربطة العنق ولكنه لا يدري إنما يربط أفعى حول عنقه. فسألوه أن يذهب ويبقى بدار السلام حتى يصلوا إلى غاية حول المسائل التي أثارها عن أوضاع الثورة وكرومي الذي سيصارحهم بجلية نفسه طالما سألوه عنها وأوكيلو بعيد عنه⁽¹⁾. وقال رداً على أسئلتهم إنه يرغب أن تنضم زنجبار لاتحاد دول شرق أفريقيا وفي النظر في ترتيبات دفاعية معهم وأنه لم يتلق عوناً من أي دولة ولا يرغب أن يكون رئيساً لزنجبار وأنه شديد الثقة والدعم لكرومي.⁽²⁾

ومن كتاب أوكيلو يتضح أن قادة شرق أفريقيا صاروا يخشون أوكيلو. ففي حديث خاص مع كنياتا سأله لماذا مر بنيروبي إلى أوغندا ولم يلقيه. وحدثه أن كثيراً من الناس قال له إن أوكيلو سيعصف به. واعتذر أوكيلو عن عدم اللقاء بكنياتا لغيابه عن نيروبي. وتساءل في الرد على كنياتا قائلاً لمن سيعطي حكومة كينيا متى أسقطها. فهو قد أسقط حكومة عربية ليسلمها لأفريقيين. وقال كنياتا إنه بالحق لا يشك في نوايا أوكيلو الطيبة نحوه.⁽³⁾

وبدأ قلب ظهر المجن لأوكيلو حين بلغ دار السلام. فأخطرته فيها لجنة اتصال شرق أفريقيا أن يعود لزنجبار وأن كرومي حسن النية تجاهه ويريد

(1) Okello, 182.

(2) Okello, 183.

(3) Okello, 183.

التعاون معه. ولكن سرعان ما بعث نايريري له برسالة أن يبقى في دار السلام ليقابل كرومي القادم من الجزيرة. وفي الأثناء حملت صحيفة محلية نبأ عن أن أوكيلو أعلن كشف شخص غير مرغوب فيه في الجزيرة⁽¹⁾. وعدّ النبأ من سقط القول. وأكد له وزراء تنجانيقيون كذب النبأ. وانتظر أوكيلو مجيء كرومي ولكنه لم يأت. فأراد أن يعجل بالذهاب إلى زنجبار بطلب الإذن من نايريري ولكنه كان غير موجود. فسافر إلى زنجبار فلقية كرومي وأعضاء مجلس الثورة مسلحين بالطبنجات. ولم يستغرب ذلك. واعتذر كرومي له بأنه لم يلقه في دار السلام بالنظر إلى أن الطائفة المفروض أن تقله لم تأت. وطلب منه أن يذهباً معاً إلى دار السلام تواء لأنهما سيناقشان مسائل أمنية للثورة. وكاد أوكيلو أن يعتذر عن ذلك لسوء صحته ولكنهم قالوا له إن نايريري أرسل طائفة خاصة للغرض⁽²⁾.

وبدا لأوكيلو التغير تجاهه وأن أمراً ما يطبخ ضده. فلما ودع أعضاء مجلس الثورة كان على وجوههم تعبير مريب. وبدا له أيضاً أن كرومي ونايريري ربما كان لهما تدبير ما. وعلم أنه جاء الوقت ليشقى بيد الأفارقة بعد أن أحسن إليهم. ومن خواطره آنذاك: «لو زعم أياً منهم أنه كان معي خلال التخطيط للثورة والتفكير فيها فليتقدم وليشرح الأمر. فالرب القوي وحده يعلم ما جرى بزنجبار. فهو أعين على الثورة كرسول من الرب.

(1) Okello, 180.

(2) Okello, 185.

فألرب وحده أعانه للسيطرة على الوضع واستئصال
الإمبرياليين من الجزيرة»⁽¹⁾. وحين بلغت الطائرة دار
السلام لاقاهم نايريري الذي حيا كرومي واعتزل أوكيلو.
وأخذوا كرومي إلى بيت الضيافة وأوكيلو إلى فندق كان
به صباح نفس اليوم⁽²⁾. ونقلوا كرومي بسيارة دولة
بينما نقلوه بلاندروفر. ولما استدعوه للقاء نايريري
بحضور كرومي أشار نايريري إلى خلافاته مع كرومي
التي جاءوا لحلها. وسأله إن كانت الحكومة في زنجبار
حكومته أو حكومة كرومي. فكان رده أنها ليست له
أو لكرومي وأنها حكومة شعب زنجبار. وأنه وكرومي
خدامه لوقت انتقاله معلوم. بل ضرب لنايريري مثلاً
بنفسه. قال له إنك رئيس تنجانيقا ورئيس حكومتها
ولكن تلك الحكومة ليست لك. وبعدها تطرق نايريري
لخطاب أوكيلو العدائي الشرس بالراديو.⁽³⁾

وبرر أوكيلو عنف خطابه بأن حكومة زنجبار
التي أطاح بها جاءت بالعنف لا الانتخابات ولذا

(1) Okello, 186.

(2) Okello, 187.

(3) (Lockwood, 22).

– من خطبه: «الحكومة الآن نحن من يصرف أمرها. ولنا قوة ٩٩
مليون و٩٩ ألف. وسأخذ إجراءات قوية أشد ٨٨ مرة مما يجري
حالياً. أنا فيلد مارشال أوكيلو. أفيقوا أيها الإمبرياليون فهذه حكومة
المقاتلين من أجل الحرية. استيقظ أيها الرجل الأسود. وليأخذ كل
منكم بندقية وليبدأ في القتال». وقال لسلطان زنجبار المخلوع عبر
الراديو: «مأذون لك بعشرين دقيقة لتقتل أطفالك وزوجاتك وتقتل
نفسك في خاتمة المطاف». وكان أوكيلو يفخر بقدرته على تزويد جنده
بالسلاح. فقال إنه يمكن أن يوفر ٥٠٠ بندقية يومياً و ١٠٠ لغم كل
ساعة. كما فخر بخلوده: «أنا فوق الحكومة ولا يمكن أن أموت».

كانت الإذاعة وسيلتهم الميسرة لمخاطبة الناس وليعرف العالم قاطبة بأخبار الثورة. فالتفت نايريري إلى كرومي وسأله إن كان سمع ما قاله أوكيلو. فقال إنه سمعه وهو منشرح للتعامل مع أوكيلو ولكنه لا يعرف لماذا كره علاقته بعبد الرحمن بابو بينما وهو الذي دعاه من دار السلام لزنجر بعد قيام الثورة. وخلص نايريري إلى أن إجابات أوكيلو مقنعة له ولكنه منزعج لبعض خطبه في الراديو. وأنهى الاجتماع لينعقد في الثامنة من صبيحة الغد. وأدرك أوكيلو أن ثمة صراع حاد حول السلطة قد نشب في زنجبار وأن هناك من يريد أن يعلو على الآخرين. وأدرك أن نايريري عازف عنه لأنه سيكون حجر عثرة في طريق وحدة تنجانيقا وزنجبار طالما كان هوامع كينيا.⁽¹⁾

ثم بدأ مسلسل إهمال أوكيلو. فلم يأت أحد لأخذه للاجتماع مع نايريري. فمضى راجلاً لرئاسة الجمهورية. فقليل له إن نايريري لم يأت. فأخذه بلاندروفر إليه حيث كان يحضر بدء تدريب مجندين جدد. وانفض الجمع فور وصوله. وركب نايريري وكرومي سيارة اتجهت نحو المطار فتبعهما ليرأى كرومي يركب طائرة إلى زنجبار. وطلب منه مسؤول تنجانيقي أن يبقى هو في دار السلام لاجتماع خاص مع نايريري. وزار في بقية اليوم مواقع مختلفة مع نايريري. وبنهاية اليوم في المساء وعد نايريري أن يراه في الغداة. ولما

(1) Okello, 189.

أصبح الصبح وذهب ليقابله قيل له إنه مشغول وسيراه في غضون الأسبوع. ولم يحدث ذلك بينما ظلت الصحف⁽¹⁾ تكتب عن نفيه عن زنجبار. ثم استدعوه ليقابل نايريري بعد أسبوع. ولما اجتمعا قال له نايريري إن كرومي كلفه أن يقول له إن عليه أن يذهب لأهله في أوغندا لستة شهور حتى يُبتَ خلالها في موضوع عودته إلى زنجبار. فأحتج أوكيلو واستغرب أن كرومي لم يصارحه بنفسه بذلك. وتساءل عن ماهيته وأشياءه بزنجبار. فقيل له أن مسؤولاً منهم سيسافر لزنجبار وسيعطني بالأمرين. فطلب أوكيلو طائرة ليذهب لزنجبار ولكن نايريري رفض وقال بحزم إنه لن يسمح له بالعودة إلى زنجبار. فسأله عن السلطان الذي له عليه فقال له سلطان من أنت في بلد هو رئيسها. وطلب منه أن يكف عن الملاحاة. وسيدفع له ثمن تذكرة السفر إلى كينيا ويوسعه العودة إلى تنجانيقا في وقت لاحق. وتحدث أوكيلو إلى المسؤول المسافر للجزيرة أن يأتيه بأجر ٣ أشهر وأن يبحث عن ملابسه وأثاثاته ومدخره. ولما عاد المسؤول في المساء جاءه بشنطة ملابس كان تركها في مطار زنجبار لأمره ليعود بالقوة مع كرومي إلى تنجانيقا⁽²⁾. ولم يأت المسؤول بثمة خبر عن أجره ولا أشياءه. ولم يسمع عنهما بعد ذلك أبداً. وطلب منه كامبونا، وزير الدفاع القوي في تنجانيقا، السفر معه إلى

(1) Okello, 190.

(2) Okello, 191.

نيروبي ودفع له ثمن التذكرة. فوضعوا كمبونا في الدرجة الأولى وأوكيلو في الدرجة السياحية. وفي نيروبي استقبلهم وزير الدولة مورمبي بمجلس الوزراء في صالة كبار الزوار. فأخذ كامبونا إلى مكان مجهول في حين أخذوه إلى فندق. ولم يلق مورمبي أبداً بعد ذلك. وانتظر في الصباح ليرى كمبونا فلم يأت. وحين رجع إلى الفندق وجدهم أخذوا حقيبته من الغرفة وقالوا له ستبقى فيها متى التزمت بسداد فاتورة الإقامة. ولم يكن بجيبه سوى شلن ونصف. ووصف ذلك بأنه تطور شاذ للأمور. ولم ينجح في لقاء رئيس الوزراء، كنياتا، أو أي وزير آخر. وبقي في برنسة الفندق يرجف من الحمى. وجاءه في الساعة الواحدة صباحاً وكيل وزارة الأمن الداخلي، كويتاي، فشرح له حرج أمره ووعد بأن يتحدث به إلى مورمبي فوراً⁽¹⁾. ولكن كويتاي تحفظ قائلاً إن حكومة كينيا لن تلتزم له بعون مالي أو بثمان التذكرة. وفي محنته تلك لقي أوربياً في الساعة الواحدة والنصف فبره بمائة شلن بعد سماع مأساته. وقال إنه ممنون له وستذكر عظامه، متى توفي، فضله. وعاد كويتاي وقال له سنرحلك لفندق آخر خارج المدينة. وأخذوه في سيارة حكومية. وما بلغ الفندق حتى تفاقم مرضه وداواه طبيب آسيوي لأيام بطلب من صديق له. وقرر أن يلقي مورمبي فوجد كويتاي الذي ناوله رسالة باسمه بعنوان فندق استانلي

(1) Okello, 192.

بتاريخ ١٣ مارس ١٩٦٤م: «سيدي، أنا مأمور من السيد وزير الدولة في مكتب رئيس الوزراء بأن رئيس الوزراء قد وجه بأنه مسموح لك بالوجود في نيروبي بحر هذا اليوم وممنوع خلال الفترة أن تعقد أي مؤتمر صحفي أو تعقد أي اجتماعات عامة. وأضيف أنه مطلوب منك أن تغادر القطر بأول طائرة غداً صباح ١٤ مارس ١٩٦٤م. التوقيع كويتاي».^(١)

واحتج أوكيلو بالفلس دون سفرة الغد ولكن كويتاي قال له إنه لا دخل له أو الحكومة بذلك ومطلوب منه تنفيذ الأمر. وودعه وانصرف. وفكر أنه ربما كان كامبونا، بإيعاز من نايريري، هو من ناقش مع الكينيين أن يعتبروا أوكيلو شخصاً غير مرغوب فيه.^(٢)

ولا تظهر عبثية ثورة أوكيلو بأقوى من عباراته هو نفسه عن خيبته الكبرى لقيامه بالثورة حتى عض بنان الندم على ارتكابها. فقال إنه نظر إلى السماء، بعد أن صار شخصاً غير مرغوب به في شرق أفريقيا بعد نحو ٥٠ يوماً من قيامه بثورة هزت عرش العرب، فوجدها أقصى من أن تنال فنظر إلى الأرض فوجدها أثقل من أن تحمل. فما يفعل؟ فحتى المائة شلن كان قد تصرف في بعضها. وقدر أن يذهب إلى أوغندا راجلاً فلو قبضوه لعدم تنفيذ الأمر تعذر بالفلس. وأحس

(1) Okello, 193.

(2) Okello, 194.

لدى عودته بالفندق بفقدان الثقة في حكومات شرق أفريقيا التي لم تسعفه. وقال إن لعنة الخطابات التي جاءت في زنجبار تحققت وهو لن يلوم أحداً. فلو لم يطح بسلطان زنجبار، الذي أهان نظامه الأفارقة، لما اعتبرته حكومات شرق أفريقيا شخصاً غير مرغوب فيه. فلو لم يقيم بما قام به ولزم مكانه لعاش حيث شاء في شرق أفريقيا. ولكنه ثار ولذا صار غير مرغوب فيه. وتأمل سخرية الموقف ملياً: السلطان المخلوع يلقي استقبلاً كريماً في إنجلترا⁽¹⁾ بينما يطرده أبناء جلدته طرد الأجرى.

وزاد الأمر ضغطاً على إيالة حين قرأ لجوزيف ييري عضو المجلس المحلي للساحل الكيني في جريدة مؤفريقيا التنجانيقية في ١٤ مارس ١٩٦٤م يهنئ كرومي من قلبه لإعلانه الفيلد مارشال أوكيلو شخصاً غير مرغوب فيه⁽²⁾. وساءه وصف ييري لسلوكه في الجزيرة بأنه مناف لميثاق منظمة الدول الأفريقية الذي يحظر استخدام العنف الفالت من الدستورية. وزاد ييري بأن على كينيا أن تحذوا حذو كرومي. فاستغرب أن يكون هذا رأي دستوري من ممباسا التي جربت مثل زنجبار اضطهاد العرب للأفارقة. وتساءل، والحال كذلك، إن كان ميثاق المنظمة سيجرمه، بمنطق ييري، إذا أطاح بحكم بيض جنوب أفريقيا أو أنقولا أو موزمبيق التي تستولي أقليات بيضاء على الحكم فيها مثل زنجبار. ولم يملك سوى لوم نفسه على ما قام به لتحرير زنجبار.

(1) Okello, 195.

(2) Okello, 195.

وقال إنه متى ندم على ذلك صح أن يسأل ييري وحكومة زنجبار وكينيا وتنجانيقا والمنظمة أن يغفروا زلته⁽¹⁾. وبدت له سخرية القدر جلية: فلقد عوضت بريطانيا لسلطان زنجبار خسائره عن ملكه الذي شمل ممباسا ٢٠٠ ألف جنيه إسترليني بينما يطرد هو كشخص غير مرغوب فيه. فهو تسبب في فقد السلطان نظامه، ولكن مصيره كان أسوأ من مصير السلطان بما لا يقارن.⁽²⁾

وتلك أحزان الفيلد مارشال الغريب الزنيم في متاهته. ارتكب ثورة بحسن نية فإذا به يخيف حتى من ظن أنهم يستحقونها. وندم ندامة الكسعي.

أوكيلو، عبث شاذ بالتاريخ لن يجلب غير الخزي لمن يقومون به:

لعل أوسع حيل الوطنية الأفريقية لتغطية جرمها بحق الزنجباريين من أصول عربية هو النهج الدؤوب لمحو اسم الفيلد مارشال أوكيلو من كتاب ثورة ١٩٦٤م. وصار دوره فيها غامضاً حتى وصفه عمر مابوري بـ«اللغز» الذي يستصرخ الناس لحله لأجل تاريخ سوي⁽³⁾. فحتى اللقب، فيلد مارشال، بدا للقوميين الزنجباريين شاذاً وكاذباً. فصرف كرومي، رئيس الحزب

(1) Okello, 197.

(2) Okello, 197-198.

(3) Mapuri, 50-51.

الأفروشييرازي، مزاعم أوكيلو بقوله إنه لم يكن
لزنجنبار جيش وقت قيام الثورة فكيف يكون لها
فيلد مارشال،⁽¹⁾

وتطرف القوميون الأفارقة في تبخيس دور أوكيلو في
الثورة حداً دمجوه بالجبن. فأدب الحزب الأفروشييرازي
ظل يذيع أن منظمي الثورة قبلوا بوجود أوكيلو بينهم
لأنه، إن لم يفعلوا، وشى بخططهم الثورية للحكومة.
ولم يفهم هذا التشهير بالرجل. فجاء في أدبهم بالنص:
باختصار فإن جون أوكيلو لم يتحمل مسؤولية
من أي مقدار في تنظيم الثورة التي رتب لها الحزب
الأفروشييرازي. وفي الحقيقة فإنه في وقفة يوم الثورة
فقد أعصابه وحاول الفرار من الميدان ليجد مركب صيد
سمك لتحمله إلى البر الأفريقي ناجياً بنفسه. ولكنهم
قبضوه وعادوا به⁽²⁾. واتفق بابو مع الأفروشييرازي
في تحجيم دور أوكيلو في الثورة بل محوه. ودأب على
السخرية من ضالة ذلك الدور. فقال عنه إنه لم يكن
أكثر من جوكي ديسكو بمحطة الإذاعة⁽³⁾. كما تحدث
بابو لصحيفة إيست أفريكان ستاندرد (١٢ يناير
١٩٦٥م) عن أوكيلو وقال إن لقب الفيلد مارشال
مصطنع وأن الثوريين استعملوه كمذيع ليوحي بلكنته
السواحيلية الكينية أن شرق أفريقيا داعمة للثورة.⁽⁴⁾
وتصدى أوكيلو في كتابه لمن أرادوا محو اسمه

(1) Clayton, 130, footnote 29.

(2) Martin, 58-59.

(3) Lockwood, 23.

(4) Okello, 162.

من سجل الثورة. فقال إن جريدة «الناشونالست»
التنزانية (١٢ يناير ١٩٦٥م)^(١) لم تذكر اسمه
ضمن قائمة مجلسها الثوري ولا اسم رفيقه
المقرب إليه عبد الله مفارينياكي، التجانيقي، الذي
حارب في الحرب العالمية الثانية ونشط في الحزب
الأفروشيروزي. وكان مفارينياكي احتج على إبعاد
أوكيلو من زنجبار فألحقوه به ونفوه^(٢). واستغرب
لإنكار بابو دوره في الثورة وذكّره بأيام اعترف في
مقابلة صحفية بعد أيام من الثورة بأن أوكيلو
يتمتع بسلطات وزير وأنه قائد الثورة بينما هم
قادة سياسيون.^(٣)

واشماز أوكيلو لما عده تزويراً لتاريخ الثورة
أزال به الزنجباريون اسمه من دفترها. وقال
«إنه لمن المحبط والشاذ أن ترى التاريخ يعبث
به بهذه الطريقة التي لن تجلب غير الخزي
لمن يقومون بها»^(٤). ولتأكيد دروره الثوري جاء
بصورة لصحيفة غازيتة زنجبار الرسمية الصادرة
بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٦٤م عليها قائمة أعضاء
مجلس الثورة الثلاثيني ومقامه بينهم رقم ١٢
بصفته «فيلد مارشال». وجاء مفارينياكي رقم
٢٣ في القائمة. وحملت الغازيتة لنفس اليوم قائمة
بالوزراء ومساعديهم. وليس ثمة وزير دفاع في

(1) Okello, 209.

(2) Okello, 171.

(3) Okello, 147.

(4) Okello, 163.

القائمة بينما شغلت الوزارات الأخرى. ووجدت أن قراءة أوكيلو لها غير ظاهر نص الغازيتة. فهو يقول إنها حملت أسماء مجلس الثورة تلتته قائمة بالوزراء عددهم ١١. ولكنهم ٩ في عَدِّي لهم. وقال إنه تلت قائمة الوزراء قائمة أعضاء مجلس الثورة الأربعتاشر وتصدرها اسمه. وليس في الصفحة التي جاء بها من الغازيتة قائمة بالأربعتاشر عضو بمجلس الثورة. أما أعضاء مجلس الثورة الذين تصدروا الصفحة فهم ثلاثون جاء ترتيبه فيهم الثاني عشر. ويبدو أن الحديث هنا عن مجلسين للثورة أو أكثر لخضوع هذا المجلس للجرح والتعديل مراراً. ثم زاد بأن جريدة الناشونلست ذكرت ١٢ عضواً هم نواة المجلس ولكنها أسقطت اسم اللواء مفارينياكي الذي قاد الفرقة الرابعة بصحبة أوكيلو لمهاجمة نقطة بوليس زيواني للشرطة وكانت الهدف الصعب.⁽¹⁾

وبلغ محو أوكيلو من مشهد الثورة بالقوميين الأفارقة والماركسيين حداً دفع مابوري، من كتاب تنزانيا، أن يتدارك المنكرين ويرد ما للفيلد مارشال ما للفيلد مارشال. فبدأ مابوري أن أوكيلو كان ينفذ خطة موضوعة سلفاً. وهذا ما أوفاه أوكيلو عرضاً ورصداً في كتابه عن ثورة زنجبار. ثم تصدى مابوري لأنواع «التزوير»، لو شئنا، التي كتبت للثورة تاريخاً خلا من ذكر أوكيلو. فقال إن هناك من يزعم أنه زج باسمه في لجنة الثورة

(1) Okello, 162-163.

الأربعتناشرية قبيل ساعة الصفر بقليل. وأضاف أنه ربما اتفق للمرء هذا التقويم من قراءة مذكراته «الثورة في زنبار» التي بدا فيها أنه قد دُعي إلى اجتماعات باكرة لتلك اللجنة. ولكن الرجل ظل يزعم أنه من أسس لجنة الأربعتناشر بل قائدها أحياناً⁽¹⁾. وأشار مابوري إلى كتابات تاريخية رسمية عن الثورة خلت من اسمه. ومثال ذلك ما نشرته جريدة الناشونالست في ١٢ يناير ١٩٦٥، بعد توحيد تنزانيا في مايو ١٩٦٤، التي لم تذكر اسمه ضمن قائمة مجلس الثورة الأربعتناشري. وللمفارقة، في قول مابوري، حوت قائمة الصحيفة على اثني عشر اسماً فقط مع معرفة الجريدة بأنه تكون من أربعتناشر عضواً. وأشار إلى ما يشكل تزويراً للسجل حين أسقط بعضهم اسم أوكيلو من المجلس وأحلوا محله واحداً لا بينة على أنه كان بالمجلس.⁽²⁾

وعزا مابوري الغموض الذي يحيط بدور أوكيلو إلى «فقدان الشفافية البادي عند قسم كبير ممن نتوقع بغير شطط أن يعرفوا الحقيقة. وصارت سنة في زعماء مشهود لهم في الثورة أن يتهربوا من السؤال متى طرأ ذكر أوكيلو». وذكر من هؤلاء القادة بابو. فبابو كثير التناقض عن منزلة الرجل. فوصفه مرة ساخراً بأنه رجل «صار هواه المذايع يرسل التهديد الثوري تلو التهديد بأمل أن يلقي

(1) Mapuri, 50.

(2) Mapuri, 52.

الرعب في قلوب مستمعيه»⁽¹⁾. في حين قال أعضاء من المجلس الثورة الاربعتاشر إنه جاء في دقائق الثورة الأخيرة منتهزاً ساحة تكليفه مع آخر لإدارة الإذاعة فسرق الأضواء علماً بأن الثورة كانت قد نجحت بدونه. وكان تكليفه الأصل أن يدرب ثواراً جاهزين عند محطات البنزين لحرقها متى فشلت الثورة⁽²⁾. واعترف عمر لأوكيلو بدوره القيادي متى سألت بيادة الثورة. فتجدهم يقولون إنه لم يكن عضواً بالمجلس الثوري فحسب بل كان مهندساً مميزاً من مهندسيها. وقال إنه حتى بابو يقر بدور لأوكيلو متى ترك عادة الإنكار. ومن إقراراته قوله إن أوكيلو، زعيم الرجرجة الرثة، قاد فرقته من اتحاد شباب الحزب الأفروشيрази الغاضبين الذين كانت خطتهم الأصل حرق مدينة زنجبار لخلق حالة قصوى من الفوضى الاجتماعية⁽³⁾ وخلص مابوري إلى أنه لن يكتب للثورة تاريخ مستحق بغير ذكر أوكيلو بل العرفان بدوره المفصلي فيها. فالدلائل ناطقة بأن الرجل كان واحداً من العوامل الحاسمة في فوز الثورة.⁽⁴⁾

سيكون قبول القوميين الأفارقة بنظام كرومي

(1) A.M. Babu, The 1964 Revolution: Lumpen or Vanguard. In Abdull Sherrif and Ed Furguson, Zanzibar Under Colonialism (London, James Cury, 1991), p. 241.

(2) Mapuri, 51.

(3) Babu, 1991, 240.

(4) Mapuri, 50-51.

(١٩٦٤م-١٩٧٢م) وغضهم الطرف عن سوءاته
 ذنباً معلقاً على رقبتهم للتاريخ. وكان كليتون
 اعتذر لهم عن خضوعهم الذي سبق لأوكيلو بقوله
 إن العناصر المتعلمة في الحزب الأفروشيرازي قبلت
 بالانجرار وراءه بمزيج من الخوف والرغبة في تقليل
 سفك الدماء^(١). ولكن قبولهم بطغيان كرومي،
 المعروف أنه أقام دولة بوليسية شقي منها أهل
 زنجبار شقاء كبيراً، طال حتى اغتياله^(٢). فبرغم
 مزاعم إطراح الأعراق وفتنتها في خطابات الرجل
 إلا أن حكومته مارست اضطهاداً واضحاً ضد
 العرب والهنود وأهل جزر القمر. وأسرف مرات في
 مشروعات يوتوبية للتسوية العرقية مثل عودته إلى
 نهج الجمعية الأفريقية القديمة في معاداة الهوية
 الشيرازية برغم وجودها في اسم حزبه: الحزب
 الأفروشيرازي. فأكره ١٨ ألف زنجباري لتوقيع
 إقرارات بأنهم ليسوا شيرازيين أو أنهم لا يعرفون
 معنى لكلمة شيرازي حتى. وفي نفس العام
 ١٩٧٠م، بلغت فضيحة الزواج القسري كما مر
 أوجها وأنبتت على بلاغيات الحزب الحاكم القاضية
 بتمكين الرجل الأفريقي من المرأة العربية^(٣).
 وبلغ من تمام خضوع زنجبار لكرومي حداً قال

(1) Clayton, 81.

(2) (Lockwood, 24-25).

- قالت عنه لوكوود إنه: «أدخل زنجبار في عصر فظ من
 مصادرة حقوق الإنسان خشي الناس فيه على حياتهم في
 أي دقيقة من يومهم»

(3) Glassman, 289.

مارتن إنه ربما أعيانا تفسيره⁽¹⁾. واستغرب مارتن لتمسك نايريري بكرومي بخطاياهم الكثيرة. فمن جهة أفرغ الاتحاد مع تنجانيقا من كل سلطان على زنجبار وعطل قوانين تنزانيا الفدرالية حتى أن التنجانيقي لم يكن يسمح له بدخول زنجبار بغير إذن. ولم يسمح لتانو، الحزب الحاكم في البر، بممارسة نشاط في الجزيرة⁽²⁾. ومن الجهة الثانية كان مصدر حرج كبير لنايريري. وواخذه برفق حين أزمعت إجراءاته الفاجرة للتسوية العرقية بإجبار بنات العرب والهنود والفرس للزواج بمن تقدم إليهن بغير اعتبار لرغبتهن.⁽³⁾

إن القومية الزنجبية الأفريقية لن تتخلص من هذه التركيبة في قبول الدنية في مشروعها تحت كرومي ما لم تسلم بأن هولوكوست العرب كان مبتدأ طريقهم إلى الخزي والتبذل الذي اكتمل تحت الرجل.

(1) Martin, 62.

(2) Martin, 59.

(3) Martin, 69.

(٧)

هولوكوست العرب، لهاية السياسة

جاء قلاسمان في كتابه بطرح مميز للعلاقة بين الذواكر العرقية التاريخية والجنوسايد. فتجد لذاكرة الرق العربي شعواء عند مثل الفيلد مارشال وقوميين زنوجيين آخرين. فهي في نظر كثيرين بؤرة ذات برمجة مستديمة لوقوع الجنوسايد كما في زنجبار. ومتى ساغ الربط البسيط بين الذاكرة والثأر صار الجنوسايد ميسور التبرير بالنظر إلى الذاكرة. ولكن قلاسمان يرى أن الجنوسايد واقعة معاصرة بنت سياسة معاصرة تستدعي التاريخ (مثل الرق العربي) بصور ذكية وشتى لتتنزل بأغراضها الآنية الشاغلة على الأرض. فمتى قلنا إن الرق العربي ذاكرة أفريقية لا محيد عنها تتفجر من تلقاء نفسها في ظرف تلقائي قفلنا الباب أمام

بناء علاقات عربية أفريقية غراء لأنه لا معقب على قدر الذاكرة ولا راد لسلطانها. ولذا كان الجدل الذي رآه قلاسمان قائماً بين الذاكرة العرقية ومستحدث المعاصرة مدخلاً أنسب لفكرنا الاستراتيجي حيال أفريقيا.

فمن رأي قلاسمان أن النازع لقتل الآخر العرقي في الجنوسايد، مها بدا لنا من تلقائيته، لا يقع وجوباً متى ما توافر خطاب عرقي يبخس إنسانية ذلك الآخر. كما لا يقع ذلك النازع، بنفس القدر، من ينابيع أرومة عرقية غائرة. فلا يقع التطهير للأعراق لأن الأعراق متشاحنة ولا تطبق واحدها الآخر. فقد قال مارتن لوثر كينغ إنه قادر على العيش وهو مبغوض من الآخر ولكنه لن يأذن له ليجعل من بغضائه سبباً لانتقاص مواطنته.

وعليه فالجنوسايد ليس مثل الجبل البركاني يخمل حتى تفرفر فيه الذاكرة الجيولوجية فيتفجر. فالجنوسايد لا يقع من بغضاء مرسله ولا ذاكرة تاريخية مؤثله مثل الرق العربي في حالنا. وبدون التقليل من مؤثر التاريخ والخطاب العرقي فالجنوسايد هو ثمرة شغل منظم صعب تقوم به الجماعة أو الدولة. فالخطاب العرقي المرسل يحوي إمكانية التفجر في مذابح عرقية ولكنها إمكانية تنتظر من يشعل الفتيلة. وللتدليل أنه كان وراء محنة زنجبار مثل ذلك الشغل نبه قلاسمان إلى أن المذابح توقفت منذ أبعد أوكيلو من المسرح في مارس ١٩٦٤م واحتل كرومي ورفاقه دست الحكم.

فلم يبق كثيرون في الحكومة الثورية راغبين في دق أعناق العرب وتضريح الجزيرة بدمهم⁽¹⁾. مع أن ذاكرة الرق هي هي لم تتغير.

ولا يعتقد قلاسمان في مواصلة توزيع الاستعمار لتمظهرات العرقية الأفريقية العنيفة. فليس ثمة نقطة في الماضي الاستعماري البعيد أو القريب نُعينها لمنشأ العرق لنقول إنه مكث بين الناس منوهاً. فحلقات العرقية لا تتصل وتطرد لمجرد حضور ذاكرة عرقية شقية بين الناس بل لأننا نعيد صنعها مرة بعد مرة. فجنوسايد زنجبار ثمرة مرة لسياسات اكتنفت نيلهم الاستقلال في ديسمبر ١٩٦٣م. فلقد اختلف الزنجباريون بقوة حول أي الطرق يسلكون في بناء الدولة المستقلة: ما صورة المواطنة فيها؟ من له سلطانها؟ وعلى أي أسس؟ وأيقظت خلافاتهم قبيل الاستقلال في ١٩٦٣م فتنة الذواكر العرقية التي كانت نائمة⁽²⁾. فالسياسة، التي طغت فيها كراهة العرب خلال تلك الخلافات فصورتهم كأجانب، ليست مجرد خالف من ماضي نخاسة العرب. ولكنها خلق جديد «سمكرها» مفكرون سياسيون يستدعون جزيئاً صوراً ومفازعاً من حقبة الماضي لحسم الخلاف الماثل لصالحهم. وعليه فالعرقية في الواقع ثمرة خطابات حديثة قائمة على قدم وساق لا تعيد إنتاج التوترات القديمة بقدر ما تحاول مقاربة توترات جديدة.⁽³⁾

(1) Glassman, 284.

(2) Glassman, 287.

(3) Glassman, 288.

وسننظر إلى سياسات زنجبار المعاصرة في تلك الفترة التي أشعلت فتيلة الجنوسايد وواتتها الذاكرة العرقية. وسنعرض لسياستين عريضين أولهما التدافع الانتخابي للكتل السياسية والعرقية منذ منتصف الخمسينات وثانيهما طابع التحليل الماركسي القوي الذي ساد حول طبيعة الصراع الاجتماعي في زنجبار تلك الفترة.

الانتخابات التي ما بعدها أخرى:

يسمى الزنجباريون سنوات آخر الخمسينات والستينات قبل ١٩٦٤م بـ«زمان السياسة» ويعنون بها زمان توطن الشقاق بينهم. كانوا قبلها آمنين، أو قل مستسلمين، لروتين حياتهم كل في نطاقه الإثني بينما ربطتهم في المعاش علاقات اقتصادية غير متكافئة حول زراعة القرنفل والحقوق فيه ولكنها محتملة. وجاء ذلك الاقتصاد المزدهر بأفارقة البر لينتفعوا منه. وحملوا معهم بذور الحركة الوطنية القومية من القارة مع أنهم كانوا يحسبون أن مكوئهم بزنجبار مؤقت. ثم تدهور سوق القرنفل في آخر الخمسينات وتردت أوضاع من أسعدتهم قبلاً⁽¹⁾. وشكل هذا التوتر الاقتصادي بعد أمن إطاراً لنزاعات «زمن السياسة» الزنجباري. عرض بابو بشكل سلس لتاريخ الخميرة الانتخابية في زمن السياسة التي لا بست سياسة

(1) Clayton, 37-38.

العرق فأضرمت العنف (١٩٨٩، ١٩٩١). فتنازعت الانتخابات في زمن الخلف ذلك الأحزاب في مناخ هستيري دموي أحياناً استدعت فيه الأطراف المؤلفة التواريخ العرقية من مثل الرق العربي وتعانفت جدلاً حول هوية زنجبار ومن يستحق مواطنتها ومن لا يستحق. وفي هذا مصداق الكلمة قلاسمان من أن الذاكرة العرقية لا تتفجر وحدها فتظهر الأرض من العرق الآخر. فهي لا تنفث حممها إلا في سياق مبتكر مثل الانتخابات التي تحتاج فيها الأطراف لبيانات من التاريخ على سداد رسالة كل منها للأمة.

خاض تلك الانتخابات ٣ أحزاب بشكل رئيسي. أولها حزب زنجبار الوطني الذي تكون في إطار النضال ضد الاستعمار مستلهماً القدوة في أفريقيا العربية الناصرية وأفريقيا السوداء^(١). ومع أن الحزب مُصنّف كحزب للعرب إلا أن العرب، في قول بابو، في زنجبار «كفوا أن يكونوا عرباً منذ وقت طويل». وصار عسيراً أن تفرق بين العربي والأفريقي للتزاوج المختلط. فأكثر العرب ولدوا لرقيق سابق^(٢). ومع حرص الحزب على توطيد صلته مع أفارقة الجزيرة إلا أن تكوينه وخطابه العربي أراب أفارقة فنظروا إليه كحزب للملاك

(1) M.A. Babu, The Background to the Zanzibar Revolution. In Amrit Wilson, US Foreign Policy and Revolution: The Creation of Tanzania, (London, Pluto Press, 1989), p.143.

(2) Babu, Background, 144.

العرب⁽¹⁾. واحتفظ مع ذلك بتأييد جماعة منهم بخطابه الإسلامي. بل أُمّن ولاء قسم من سكان الجزيرة الأصل قبل وفود العرب والشيراز وأفارقة البر إليها. وتجذرت الوطنية في الحزب الذي واطب على الدعوة لاستقلال زنجبار من الاستعمار الإنجليزي. ولذا دس الإنجليز له عند الإقطاعيين العرب (بزعم أنه سيهدم امتيازاتهم) وعند الهنود (بزعم أنه ضد الهنود) وقالوا للشيراز الأفارقة إنهم عرب يريدون جلاء الإنجليز ليخلو الجو فيتحكمون فيهم.⁽²⁾

وكان الحزب الآخر هو الحزب الأفروشيرازي الذي قام على جمهرة من سكان المدن في زنجبار من ذوي الأصول الشيرازية وتلك التي من بر أفريقيا ومن بعض سكان زنجبار الأصليين. ووقف ضد أي تطورات دستورية تؤدي إلى الاستقلال لبؤس استعداد زنجبار سوى العرب له. وشذ أفارقة زنجبار بذلك عن بقية أفريقيا السوداء في أنهم لم يستعجلوا التحرر من الاستعمار الإنجليزي. فمن المفارقة هنا أن الحزب الأفروشيرازي الزنجباري، الذي يعتقد في أرومته الأفريقية، هو الذي كان يستبقي لإنجليز في زنجبار ويؤجل من موعد الاستقلال في مخالفة واضحة لوجهة القارة السوداء آنذاك. فالحزب جعل شعاره خلال الحملة الانتخابية «يوهورو زويا»

(1) Clayton, 41.

(2) Babu, Background, 145-146.

(لا للحرية الآن)⁽¹⁾. ووجد المناصرة في خطته للبطء بالاستقلال من الرابطة الهندية المحافظة لغلبة التجار ورجال الأعمال فيها⁽²⁾. ولكن الأفريقية الجامعة أدركت الأفروشيرازي فحثته ليركب قاطرة الاستقلال. وكانت ذروة هذا الضغط خلال انعقاد مؤتمر تضامن شعوب أفريقيا في أكرا بغانا في عام ١٩٥٨ م. وسبق حزب زنجبار الوطني بدعوة الأفروشيرازي إلى تكوين جبهة متحدة قبيل انعقاد المؤتمر. وضغط نايريري على الأفروشيرازي أن يذهب لغانا وأن يتفق مع الوطني. وأثمر مزيد من الضغط الأفريقي بقيادة كوامي ونكروما، رئيس غانا بمبادئه الواضحة في الأفريقية الجامعة، فقبل الأفروشيرازي أن يلتزم باستقلال زنجبار. ولكنه اشترط على الوطني أنه، متى ما تحالف معه لنيل الاستقلال، ألا يتعامل مع من ينشق منه بسبب تغيير موقفهم من الاستقلال⁽³⁾. وتوافق الحزبان على برنامج وطني للحكم الذاتي جلب المتاعب لكليهما. فعضوية الحزب الوطني لم تر جديداً تتقارب به مع الأفروشيرازي. وكثير من أعضاء الأفروشيرازي، من الجهة الأخرى، لم يروا سبباً لتغيير الموقف من الإنجليز ليخلو الجو لسيادة العرب. فانقسموا في ١٩٥٩ م. وتكون حزب شعب بمبا وزنجبار، ومعه في بمبا وغلب فيه الشيراز، الذي تحالف

(1) Clayton, 37-38.

(2) Clayton, 37-38.

(3) Babu, Background, 148-149.

مع الوطني بآخرة. واستفز حنث الوطني بعهدہ الأفروشيрази فوقعت بينهما صدامات دموية في ١٩٦٢م و١٩٦٤م^(١). وخرج يسار الحزب الوطني الماركسي بقيادة بابو عليه لأنه، بنكته العهد، سَعَّر التناقض الثانوي بين الوطنيين وكسر وحدة الصف ضد الاستعمار^(٢). كما ساء اليسار تقارب الوطني مع حزب شعب بمبا وزنجبار الذي ظل يضغط على الوطني ليتخلص من اليساريين^(٣). وبخروج حزب شعب بمبا وزنجبار على الأفروشيрази صار الأخير يعتمد أكثر فأكثر على أفارقة البر والجمعية الهندية وحزب تانو التنجانيقي^(٤).

ما بين ١٩٥٦م و١٩٦٣م تواترت خطط دستورية لمنح زنجبار استقلالها كملكية دستورية برلمانية. وجرت أول انتخابات للغاية في ١٩٥٧م. وكان خطاب الوطني يركز على الوطنية الزنجبارية الإسلامية لعزل أفارقة البر بينما دار خطاب خصومهم، في الأفروشيрази، حول غربة العرب عن أفريقيا^(٥).

وفتح زمان السياسة الباب للسياسة العرقية، في قول بابو، حتى طردت من الحقل كل سياسة أخرى^(٦). فاستفحلت وطنية البر الأفريقي في

(1) Babu, Background, 151.

(2) Babu, Background, 152.

(3) Babu, Background, 153.

(4) Babu, Background, 152.

(5) Clayton, 41.

(6) Clayton, 37-38.

الأفروشيروازي في وجه محاولات الوطني عزلهم عن العملية الانتخابية. وكانت مواطنة أولئك الأفارقة مثار خلاف. فورث الوطني عن الإنجليز قرزهم لهم كجماعة على حدة. وعليه عدهم الوطني منذ قيامه كجماعة من «مؤقتي الإقامة»⁽¹⁾. وجاء القانون الانتخابي بعزلهم لأنه قصر التصويت والترشيح على من كان من رعايا السلطان⁽²⁾. وإلى جانب السياسة تدهور اقتصاد القرنفل فأفسد العلائق العرقية. فقد طرد العرب قعداء مزارعهم من أفارقة البر. وفي سياق هذا النزاع نمى الأفارقة في الأفروشيروازي شعار «الأرض لنا والأشجار لكم» رغبة في استرداد أرضهم من مغتصبها العرب ومعمريها. وامتد النزاع إلى النقابات فصار لكل حزب كتلته النقابية تتبع خطه حزبا الأثير⁽³⁾. وتفاقم الاستقطاب العرقي بين زنجباري الجزيرة وزنجباري البر. وكاد أفارقة زنجبار للأفروشيروازي حتى أوقفوا كرومي، زعيم الأفروشيروازي، أمام المحكمة بوصفه غير زنجباري⁽⁴⁾. وأدت المحاكمة

(1) Clayton, 39-40.

(2) Clayton, 41, footnote 38.

(3) Clayton, 42.

(4) Martin, 62-63.

— ما عرف الناس عنه كثير شيء. فادّعى أنه زنجباري ولد فيها عام ١٩٠٥ م. ولكن لفت زعمه غائلة شك. فكثيرون يعتقدون أنه جاء إلى زنجبار طفلاً من ملاوي. وتعلم في المدرسة الأولية بزنجبار وتركها لما بلغ الخامسة عشر من عمره ليعمل في السفن التجارية. وعاد عام ١٩٢٨ م ليصير زعيماً للحزب الأفروشيروازي.

التي برأته إلى خروجه كزعيم لأفارقة البر مستفيداً من صورته كضحية لسوء طوية العرب.

وازداد الشقاق قوة في سنوات ١٩٦٠م-١٩٦٣م وعبر عن نفسه في انتخابات جرت في ١٩٦١م و١٩٦١م. صدر قبلها دستور ١٩٦٠م ورتب لقيام مجلس تشريعي أعطى حق التصويت للنساء وميز الحزب الفائز بحق تكوين الوزارة. ولكن انتخابات يناير ١٩٦١م انتهت بالتعادل بين الوطني والأفريقي وشيرازي^(١). وكان يمكن لحزب شعب بمبا حسم المسألة بالتحالف مع أيّاً منهما ولكن نوابه توزعوا على الحزبين ولم يغيروا من طبيعة التعادل. وعليه أعيدت الانتخابات في يونيو ١٩٦١م. وجرت في مناخ مشحون، فالأفروشيرازي يتهم الوطني بأنه معاد للأفارقة وأنه رافض الدخول في اتحاد دول شرق أفريقيا وأنه شيوعي. وكان يرفع في مناسباته صور كنياتا ونايريري وأعلام حزب تانو التجانيقي. وروج الحزب الوطني للوحدة الوطنية والإسلامية. بينما زعم شعب بمبا أنه الذي يمثل مصالح الزنباريين الأصليين حقاً. وبلغت حمى الانتخابات أشدها واصطرع شباب الحزبين جسدياً. ونشأت حالة من هستيريا الدعاية. ولتبغيض الناس في البر الأفريقي قال الوطني إن ذلك البر ستكون له الكلمة العليا متى فاز الأفروشيرازي وستصبح زنجبار منطقة إدارية عليها مفتش مسيحي موفد من نيروبي ودار السلام وأن الأفارقة

(1) Clayton, 41.

من البر سيفغزون الجزيرة ويغرقون أهلها. ووجد
الأفروشييرازي حديث رق العرب وخصي الرجال
وإفراغ حشا الحوامل وخدمة النساء للعرب
يمسحن الأرض عرايا عند نهودهن. وقُتل في الصدام
٦٥ عربياً من جملة ٦٨ وأُرسلت فرق بريطانية من
كينيا لحفظ الأمن. وفاز تحالف الوطني وبمبا.⁽¹⁾

ولما كان الأفروشييرازي نال ١٠٠٠ صوتاً زائدة
عن الحزبين الفائزين بالمقاعد رفض النتيجة
واتهم العرب بتزويرها لصالحهم. وطلب انتخابات
جديدة جرت في يوليو ١٩٦٣م⁽²⁾. وسبق الانتخابات
خروج حزب الأمة عن الوطني متهماً قيادته
بأنها سلطانية وعنصرية وتمثل مصالح طبقة
العرب العليا. ومات قبل الانتخابات سلطان عبد
الله وحل محله سلطان جمشيد الذي كشف عن
ضعف تمثل في إلقاء ثقله بجانب العرب والوطني
بما فارق به تقاليد الحيدة النسبية التي أرساها
جده سلطان سعيد.⁽³⁾

وجرت الانتخابات المعادة في جو أقل هستيرية
من سابقتها ولكن الرصيد التاريخي العرقي
تطير في سماء الحملات الانتخابية. فاستمد
الوطني دعايته من الدفاع عن العقيدة والسلطان.
ومع حديثه عن تكافؤ الفرص والتزامه بالأفريقية
الجامعة إلا أنه استمات عند أنه حزب النظام

(1) Calyton, 44.

(2) Clayton, 44.

(3) Clayton, 46.

والقانون. وكان الأفروشيрази يخصص الإسلام والسلطان باحترامه إلا أنه شدد على التسوية وتوافر فرص التعليم للأفارقة وفرص التوظيف في الخدمة المدنية. وتراشقا الحزبان بمقتطفات من نصوصهما: الوطني يقرأ من القرآن والأفروشيрази يعيد إنتاج فظائع الرق العربي. وفاز بالمقاعد تحالف الوطني وبمبا بأصوات قلت عما ناله الأفروشيрази ليعوج الأخير إلى اتهامات التزوير.⁽¹⁾

لم يكن الأفروشيрази بحاجة إلى اليأس من الديمقراطية ليثور في يناير ١٩٦٤م بالوكالة وبالدم. فقد خالص كليتون إلى أن مؤشر الإحصائيات دلى على أن الانتخابات هي لعبة الأفروشيрази للحكم إذا ما صبر. ولكن انتخابات ١٩٦١م و١٩٦٣م أزهدت زنجباري بر أفريقيا وغيرهم في الطريق البرلماني وصار من قناعتهم أن ١٩٦٣م ستكون آخر الانتخابات يجريها الوطني. وصار الاستقلال الممنوح في ديسمبر ١٩٦٣م استقلالاً للعرب فقط (يوهرو وأورابوتو)^(٢). ومن سخرية التاريخ أن الحزب الأفروشيрази هو الذي حجب الانتخابات عن زنجبار من ١٩٦٤م حتى عادت بصورة وثيدة في ١٩٨٥م.

(1) Clayton, 45, footnote 43 and 47, footnote 46.

— لم يقبل كلايتون منطق الأفروشيрази في زعمه فساد الانتخابيين بدفع حسن التأسيس.

(2) Clayton, 49.

ماركسية الجُزر الغافية:

كانت الماركسية التي أشاعها حزب الأمة بزعامة بابو من الخمائير التي دخلت في صناعة نكبة العرب بثورة ١٩٦٤م. وهي ماركسية نزعت «فتيلة» العرق من شبكة العلاقات الاجتماعية السياسة بتركيزها المفرط (بل الأحادي) على الصراع الطبقي وأساسه المادي.

فمن رأي بابو أن الذي نظم ثورة ١٩٦٤م ونفذها هم «شباب الأفروشيرازي» وكانت قيادتهم قد فجعتهم بهزيمتها في انتخابات ١٩٦٣م. وغبنهم حقاً أن حزبهم فاز بأغلب أصوات الناخبين (54.3%) حصل بها على ١٢ مقعداً فقط بينما فاز بالحكم تحالف حزب زنجبار الوطني (١٢ مقعداً) وحزب زنجبار وبمبا الشعبي (٦ مقاعد) اللذين لم يحصلوا على غير نسبة (45.7%) من الناخبين⁽¹⁾. وهو وجه للريبة ولكنه لا ينافي الدستور الذي جعل الحكم للغالب في المقاعد لا في الأصوات.

ولم يعبأ بابو ليعتبر التكوينات العرقية الحادة التي التبست معاش الناس في زنجبار والتي عرضنا لها أعلاه. فتمترس في تحليله الطبقي بلا وازع. فمن رأيه أن ثورة ١٩٦٤ ثورة البروليتاريا الرثة⁽²⁾ بما عرفت به تلك البروليتاريا من محدودية وسلبية. وقال إن الذي قاد الثورة هو أوكيلو، رأس الرثاة،

(1) Clayton, 47.

(2) Babu, 1991, 239.

الذي لم يكن ليطمع في أكثر من أن يهجم وعصبه الشابة على مدينة الحجر، مدينة العرب، وحرقتها لخلق فوضى اجتماعية عظيمة. ومع اعتراف بابو أن حزبه لم يطلق رصاصة في بدء تلك الثورة إلا أنه تدخل لاحقاً وقلب تلك الفكرة الفوضوية إلى انتفاضة لقلب النظام القائم. فتدخل حزبه في الوقت المناسب وبإمكاناته القيادية والفكرية والتعبوية لتفادي تردي الوضع القبيح الذي صنعتته البروليتاريا الرثة، وهو مذبحة العرب، إلى الأسوأ. كأن هناك أسوأ من ذلك وأرذل. فوسّع الحزب دائرة مطلب الثورة من مجرد الكراهة الرثة للعرب وامتيازاتهم إلى ثورة بأفق اجتماعي وسياسي واقتصادي رحب.⁽¹⁾

وبابو منكر كبير للمحرقة العربية. وأعفى بذلك الماركسية من الخوض في ديناميكياتها بما في ذلك العرقية التي فتحت على العرب أبواب الموت. فالمحرقة لم تقع في قوله لأن حزبه منع وقوعها. فهي لا توجد إلا في الدعاية العربية (الصادرة عن دول ملوك العرب). وهي دعاية استندت على مزاعم أوكيلو الشاطحة على الراديو عن الآف الضحايا التي رمى منها أن يروع مستمعيه كما تقدم. ولكن رقم الضحايا في قوله قليل. فليس ثمة ضحايا في جزيرة بمبا وأكثر ضحايا أونقوجا نجمت عن تصفية الثارات الشخصية ولقي المجرمون جزاءهم حين تم القبض عليهم. وعاج على إعلام أوكيلو

(1) Babu, 1991, 240.

الكذب فقال إن الرجل وقع في حب الراديو وظل يخاطب الأمة على رأس كل ساعة ليعلن لمستمعيه عن قرارات متناقضة عن عمل المجلس ويلوح بالتهديد لا يني. ولكن كادر حزبه، الأمة، تمكن من تحرير الراديو الوطني من قبضة أوكيلو وتولى قيادة العمل الإعلامي واصطدم مع عصبه خلال تأمينهم للشوارع.⁽¹⁾

ينزع بابو العرقية من ثورة ١٩٦٤م بتعليق عنفها ومذابحها للعرب على «رثاة» طبقة ما. وهو هنا متوافق مع صفوات كثيرة تعتقد أن العرقية هي حظ العامة من السياسة. وقد أعرض بابو عن تحليل جبر العرق في ثورة زنجبار حتى وهو يقرر أنه كل ما تبقى للصفوة، قبل العامة، من السياسة في زمان السياسة في زنجبار. فخلص بعد عرض دقيق للاستقطاب السياسي بين الزنجباريين، ممثلين في الحزب الوطني وحزب شعب بمبا، وأفارقة البر الذين عبر عنهم الحزب الأفروشيروزي، إلى أن العرقية كانت هي سيدة الموقف لا السياسة. وصار صوت الداعين لطرق السياسة بالتحليل الطبقي من أمثاله صوت في البرية.⁽²⁾

ومع محو بابو للعرقية من خارطة الصراع الاجتماعي في زنجبار إلا أنه لم يزد عن كونه «عريباً» في نظر أهل الأعراق. فلفت أوكيلو النظر إلى أنه بعض عربي ومؤيد عظيم للعرب في حزبهم حتى

(1) Babu, 1991, 242

(2) Babu, Background, 156.

طرده منه بسبب التصرف غير المشروع في أموال للحزب. ولم تزد عضوية حزبه، الأمة، عن ١٢٠ لا تأثير لهم على سياسة الجزيرة. وحلته الحكومة قبل الثورة وهرب بابو إلى دار السلام. وانتقد أوكيلو سياسات الحزب الراديكالية والاشتراكية في حين كانت الحاجة آنذاك للفعل الثوري لا لنظرية اشتراكية^(١). من جهة أخرى قال كلايتون أن نصراء بابو في حزب الأمة تكونوا من الشبان العرب من الطبقة الوسطى ممن شغفوا بالاشتراكية العربية والماركسية^(٢). وبدأ لمعظم الأفارقة أن هجوم بابو على زعامة الحزب الوطني كملاك أراضٍ يبذرون الفتنة بين الطبقات الاجتماعية العاملة، «مجرد مشكلة بين الجماعات العربية» (١٩٨١، ٦١). فالعرب عندهم سواء فلاحهم والإقطاعي.

مؤكد أنه لا غبار على تطبيق الماركسية في النظر إلى المجتمع الزنجباري وسياساته. ولكن التذرع بطبقية النظرية للتغاضي عن السياسة العرقية التي تلتبس الصراعات الطبقيّة مثل التي وقعت في زنجبار خدمة بائسة لكل من الماركسية والعلم بالمجتمع الزنجباري. فقد صدمني بابو الذي لم يطرف له جفن لهولوكوست العرب في ذلك المجتمع فحسب بل راح يروج لثورية حزبه الماركسي الذي قفز فوق عربة «ثورة» لم تحتج إلى ثاقب ماركسيته. وأراد أن يبنّي بتلك الثورة، التي

(1) Okello, 93.

(2) Clayton, 59.

هو ضيف عليها، مجتمع الاشتراكية بغض النظر عن الدم المراق هدرأ وظلماً. وانتهى بابو بالنتيجة إلى لعب دور الملقن لكرومي بالشعار الثوري لبيني واحدة من أبشع ديكتاتوريات أفريقيا بوليسية شقي منها أهل زنجبار شقاء كبيراً.

وحبل ركوب الثورات المعارة قصير. فمع ادعاء بابو استتباب الأمر لفكرهم بعد إزاحة طغمة أوكيلو في مارس ١٩٦٤م إلا أنه لم يبق وأركانه في زنجبار لأكثر من شهر واحد بعد تلاشي الفيلد مارشال. فقد تخلص منهم كرومي بتوحيد زنجبار مع تنجانيقا في أبريل من نفس العام و«نفى» من لم يثق بهم مثل بابو إلى وظائف سياسية من الدرك في الحكومة الفدرالية بدار السلام. ومع تواتر احتجاج بابو بأن وحدة زنجبار وتنزانيا مقصودة من الإمبريالية العالمية لإطفاء نور الاشتراكية الزنجبارية القدوة لكل أفريقيا إلا أنه قبل بها مكرهاً لا بطلاً في لحظة من لحظات الثوري يؤثر السلامة ويؤجل المعركة مع العدو إلى ما لانهاية. فقد نقلت السفارة الأمريكية بدار السلام في رسالة استخبارية بتاريخ ٢٦ إبريل ١٩٦٤م واقعة اجتماع كرومي ببابو ليبلغه بأن مجلس الثورة اتخذ قراراً بالوحدة (الواقع هو قرار كرومي وحده) وأن عليه أن يوافق أو يستقيل^(١). فطأطأ الماركسي رأسه

(١) وكالة المخابرات الأمريكية، محفوظة ٣-٥٧٩ و ٦٨٨ بتاريخ ٢٦ إبريل ١٩٦٤م. وقد جرى شطب الأسماء للمرسل منه والمرسل إليه قبل التصريح بشيوع الوثيقة في نوفمبر ١٩٩٧م.

وبصم على الوحدة. وواصل العمل في وظائفه الدنيا بدار السلام حتى وقع اغتيال كرومي في ١٩٧٢م فصار مطلوباً لحكومة زنجبار. فأطلق ساقيه لريح الهجرة يروج لنفسه كضحية استعمارية. وظل يذيع في مهاجره أن الوحدة التنزانية مؤامرة إمبريالية على «كوبا أفريقيا» في كتابيه الصادرين في ١٩٨٩م و ١٩٩١م مما استعنا بهما هنا. ولم تبتكته نفسه مرة ليذكر في شتاء ظلمه من ظلمهم بعقائده المرتجلة وإنكاره جنوسايد العرب حتى رحيله عن الدنيا في ١٩٩٦م.

واستثمر كرومي العبارة الماركسية الطبقيّة فخلطها بعرقيات حزبه الأفروشيرازي. فبعد أن كان يتهم خصومه بالشيوعية ويرضى بوصاية الإنجليز كما مر قبل الثورة صار يلهج بالشعار الماركسي ويتوعد الاستعماريين الجدد. ولا غلاط أنه كان لعون الصين وشرق أوروبا لكرومي في حين تراخي الغرب دور لا يخفى في ذلك. وكان ذلك العون أثراً لبابو وهنقا الذي هو من يسار حزب كرومي وعصبة الشباب فيه. ولم يدم الأثر الماركسي طويلاً لريبة كرومي فيهما وتخلصه منهما. ولكن لغة الماركسية أعانت الحزب على إعادة صب خطابه العنصري القديم في لغة الطبقة. ولذا وصفوا العرب بـ«الإقطاعيين»^(١) والهنود بـ«الرأسماليين» كلاب حر الاستعمار البريطاني العماني. وتذنيب الهنود جديد على الحزب لأنه قبل الثورة كانوا من شيعته وأكبر

(1) Glassman, 289.

مموليه. وطابق عرقيو الحزب بين الفوارق الطبقية والفوارق العرقية. ومن ذلك قولهم إن عبودية العرب للأفارقة استمرت طوال التاريخ المنتهي بالثورة. ووصف حتى المؤرخين المهنيين ثورة زنجبار بأنها ثورة كلاسيكية «للفلاحين المعدمين والطبقات العاملة ضد الأرستقراطية المالكة للأرض». وجرى الإصلاح الزراعي على هدي من مثل ذلك التحليل.⁽¹⁾

وهكذا اهتبل كرومي لجابات ماركسية بابو ليبني دولة طاغوتية أثقلت على زنجبار لسنوات.

«الزنجي لا يزال بزنجته»

كما النمر لا يزال بنمرته» (وول شوينكا):

وجدت في كتاب قلاسمان الأخير عن التفكير العنصري والعنف في زنجبار معالجة نبهة نُقِعت عليها مطلبنا لرد الاعتبار للضحايا العرب وغيرهم على مذابح القوميين الأفريقيين في زنجبار عام ١٩٦٤م. فقد وجد قلاسمان مصدر العنف العرقي في زنجبار في الـ «nativism» الأفريقية. وهي بكلمة موجزة عدا المهاجرين أو «الشعبوية» متى لم نقصر الكراهية على العرب في دارج استخدامنا للمصطلح. وهي في الخبرة الأمريكية سياسات اجتماعية وحكومية نشأت في القرن التاسع عشر جنحت إلى رعاية مصالح الساكن لا المهاجر.

(1) Glassman, 290.

وصوب قلاسمان سهام نقده للنسخة الأفريقية من
عداء المهاجرين.

فهو يميز كره الأجانب كمصدر لعنف ستينات
زنجبار عن مصادر أخرى تواضع عليها الناس كل
بسببه. فتجد من العرب من يرد ذلك العنف إلى
الاستعمار كما تجد أفارقة يردونه إلى تاريخ طويل
للعرب في النخاسة الأفريقية والإقطاع. ويريد كل
طرف أن ينسل من التبعة انسلال الشعرة من
العجين. وأراد قلاسمان أن يعسر على تلك الأطراف
التنصل من تبعة ذلك العنف لأنه كما قال «لا أعد
أياً من اللاعبين في حقول العنف تلك بطلاً بلا
خطيئة أو ضحية بلا ذنب». فبينما تريد الأطراف
من روايتها لواقعة عنف الستينات تذيب الآخر
يريد هو بروايته أن يشدد على عنصر التراجيديا
في تلك المواجهة. من جهة أخرى لم تسعفه تقاليد
الكتابة التاريخية عن أفريقيا ونزاعاتها العرقية
لأنها ترد وقائع العنف الأفريقي إلى خصيصة
جينية أفريقية نزاعة إلى التقتيل والتضريح.
ثم جاءت كتابات أرادت أخذ هذا العنف من
البيولوجي إلى التاريخ. ولكنها جنحت لتحميل
الاستعمار الأوربي للقارة وأيدولوجياته وزر هذا
العنف. فللاستعمار بالطبع أدوار في زرع العنف في
أفريقيا. ولكن وجب مع ذلك البحث عن مصدر
التفكير العنصري الأفريقي في التواريخ الثقافية
للقارة. فمع عظم تأثير المفاهيم العنصرية الوافدة
ولكن أخذ أفريقيا بها لم يكن تبنياً بل «اشتباكاً».

ويعني بذلك أن أفريقيا لم تكن لوحاً ممسوحاً
من سيماء العنصرية لتتطبع عليها مفاهيم أوروبا
العنصرية عن فراغ.

خلافاً لذلك يرى قلاسمان أنه كان لأفريقيا
مفاهيمها العنصرية التي اشتبكت مع العنصرية
الواعدة وتخصبت. وهو حريص ألا يفهم أحد
من خطته، التي ترى الأفريقي حاملاً لمفاهيم
عنصرية أصيلة، أنه إنما يعود بنا القهقري للنظرة
العنصرية الأوروبية التي تقول إن النزاع العرقي
العنيف هو الأصل في بيولوجيا الأفريقي. فمصدر
النزاع العرقي المشاهد في أفريقيا ليس خصيصة
أفريقية بل هو ثمرة أحداث معاصرة. فقد
وقع في سياق الحركة القومية الأفريقية المناهضة
للاستعمار وأفحش الأفارقة فيه إفحاش الأوربيين
خلال نهضتهم القومية. ولذا يعتب قلاسمان على
المؤرخين الذين ما زالوا يمتنعون عن الكتابة عن
«حقول العنف الأفريقي» مثل مذبحة زنجبار في
١٩٦٤ التي هي خيارات عنيفة قاتلة لأفريقيين
في تمام عقلهم وعافيتهم سبقهم إليها قوميون
آخرون.⁽¹⁾

ولا يعتقد قلاسمان أن ثورة ١٩٦٤م استنفدت
العنف العرقي وجففته. فهويات زنجبار التي ولدت
عنف ١٩٦٤م ما زالت قائمة وبوسع عصبانيتها أن
تفرخ محنة جديدة. فصراع بر أفريقيا وزنجبار
قائم على قدم وساق إلى تاريخه. فقد فقد الحزب

(1) Glassman, x-xi.

الحاكم في تنزانيا، حزب الثورة، الذي نشأ من دمج تانو تنجايقا والأفروشيرازي الزنجباري، أرضه في زنجبار إلا قليلاً⁽¹⁾. فنافسه على أفئدة الناس حزب الجبهة المدنية الموحدة الذي ظل حاضنة لذاكرة زنجبار المستقلة. وانطوى صراع الحزبين على محتو إثني بارز. فالناخبون من أصل عربي في زنجبار يصوتون لحزب الجبهة المدنية بينما يصوت الناخبون الذين أصولهم من بر أفريقيا لحزب الثورة. ويسترجع الفرقاء خلافهم الأصل في سياق معاصر. فيتهم حزب الثورة خصومه بأنهم يمثلون مصالح العرب الذين يرغبون في استعادة السلطنة وفرض جمهورية إسلامية وطرد زنجباري البر الأفريقي. بينما يحمل حزب الجبهة المدنية على خصومهم بأنهم حزب البر الأفريقي المسيحي. واستغرب قلاسمان أن تمكث هذا البلاغة العرقية في زنجبار التي تغيرت في نصف القرن الماضي تغيراً لم يبق أثراً لنظمها السلطانية الإقطاعية فحسب بل كتم نظام الحكم في تنزانيا الصوت الآخر منذ الثورة ولم يسمح به إلا في ١٩٨٥ م. ويتساءل قلاسمان إن كان هذا يعنى أن العرقية دساسة بما يجدد من شباب نظريات الأرومة و«البربرية الجديدة» التي تفسر التطهير العرقي الماثل في أفريقيا بخصيصة أفريقية جينية.

لم تؤد أربعة عقود من دولة القومية الأفريقية الكارهة للأجانب التي نشأت بعد الثورة إلا لتقوية

(1) Glassman, 284.

كراهية أهل زنجبار ضد أفريقيّ البر الأفريقي، المسيطرين على الحزب الحاكم، وحملوهم تردي معاشهم⁽¹⁾ وصاروا الزنجباريون يرون ثورة ١٩٦٤م كغزوة أجنبية أمن عليها نايريري إن لم يكن هو من رتبها. وعلى ما بدا من اتحاد زنجبار وتنجانيقا في دولة تنزانيا كإنجاز موفق للجامعة الأفريقية إلا أنه، لما انعقد التحالف لأجله بليل بين كرومي ونايريري، صار حقلاً خصباً للتخرصات من مثل أن الاتحاد مشروع مسيحي لاحتواء الإسلام. وتستقي هذه التفسيرات الدينية من معين علماني أذاعه بابو بعد خلافه مع كرومي وهجرته عن تنزانيا إلى أوربا في ١٩٧٨م. فوصف الاتحاد بأنه خيانة للثورة وغايات الوحدة الأفريقية التي كان بها تبرير انعقاده⁽²⁾. فكانت دواعي تلك الوحدة الأفريقية، في نظر بابو، ذريعة إخضاع الجزيرة للبر الأفريقي. فمن رأيه أن خوف الغرب من «كوبا أفريقيا»، زنجبار، هو الذي دفع بالولايات المتحدة لترتيب اتحاد تنجانيقا وزنجبار صفقة بين عملائها نايريري وكرومي. ووقعت الخيانة في نظر أفريقيّ زنجبار كما اتفق لبابو ولكن للإسلام لا للثورة العالمية.⁽³⁾

ورصد قلاسمان نشأه ظاهرة كره زنجبار لأهل البر في وجه تغول البر عليها. فقال إن ذلك

(1) Glassman, 290.

(2) Glassman, 292.

(3) Glassman, 293.

الكره ليس خصيصة في زنجبار على مدى الزمان. فهي مما تفننت في اصطناعه السياسة⁽¹⁾. فحتى كرومي ومن خلفه في دولة ثورة زنجبار تمسكوا بذاتية الجزيرة واستثمروا كره أهل البر ليأثف عندهم أهل زنجبار. وما يزال الزنجباريون في الحزب الحاكم اليوم يبدون الحرص على ذاتية زنجبار متى ما ساغ لهم ذلك مما يجبر عليهم غضب حزبهم. ولكن للمعارضة بالطبع اليد الطولي في استثمار مخاوف الزنجباريين من البر. فهم يذيعون أن الاتحاد يمثل تهديداً لدور زنجبار التاريخي كمركز للثقافة الإسلامية. ويستذكرون بعضهم ما راج في الستينات من أن نايريري، الذي بدأ كطالب علوم لاهوت مسيحي، هو الذي رتب للاتحاد والثورة أيضاً كجزء من مشروع كاثوليكي متكامل ضد الإسلام. ورأينا تداعيات غبن زنجبار من البر بعد انضمام زنجبار لمنظمة التضامن الإسلامي في ١٩٩٣ م. وهو انضمام اعترضت عليه الحكومة الفدرالية لأنه ليس من صلاحية زنجبار وحدها أن ترسم لنفسها هذا الأمر السيادي. وكان رئيس زنجبار آنذاك قد طلب الانضمام للجامعة الإسلامية ليلقى جماهيرية زنجبارية تعتقد في أن هوى زنجبار، التي كانت لها إمبراطورية وصلت للبحيرات ووسط أفريقيا، صوب الدول المسلمة. ولذا بدا لهم اعتراض الحزب الحاكم على الدبلوماسية الزنجبارية باباً من أبواب كيده

(1) Glassman, 293.

للإسلام. ومن جهته يتهم الحزب الحاكم المعارضة بأنها عروبية تريد أن تسترجع دولة العرب والإقطاع العماني. وأنها تتببع سياسات الأصولية الإسلامية. واستثمر الحزب الحاكم معطيات حرب الإرهاب الأمريكية منذ ٢٠٠١م ليلحن بحجته. وهكذا تهدد هذه الاتهامات المتبادلة أن تتفجر في عنف عرقي. وهو ما لم يحدث بعد وإن وقعت أحداث عنف محدودة.⁽¹⁾

وفي هذا السياق يسترجع الناس ذكرى ثورة ١٩٦٤م. فحزب الحكومة يعد المعارضين منقلبين على الثورة يريدون العودة إلى عهد الإقطاع والردة عن الإصلاح الزراعي. وعرض في ذكرى الثورة في ٢٠٠١م فلماً عنها وأخبارات عن رواندا وميدان تيانانام الصينية ليذكر المعارضة كيف أنبنت زنجبار على طبقات من العنف⁽²⁾. فالثورة صارت نقطة مرجعية للأطراف. الحزب الحاكم يشدد بذكرها على هويته الأفريقية ويبخس العرب الذين سيعودون بالنخاسة متى انفتح لهم الباب. ومن الجهة الأخرى توطن المعارضة الثورة كحدث زنجباري، لا دخل لأفارقة البر به، مدافعين عن الثقافة الإسلامية في وجه البربرية التي من البر. وينبه قلاسمان إلى خطر هذه المواجهة الدينية. ففي البر الأفريقي، تنجانيقا القديمة، مسلمون بقدر المسيحيين. وقال إنه متى ما تضرر مسلمو

(1) Glassman, 295.

(2) Glassman, 296.

زنجبار من المسيحيين فلربما ساق هذا مسلمو البر إلى مناصرتهم في نهاية المطاف مما سيجعل الوضع كارثياً في البر الأفريقي مصداقاً للمثل السواحيلي: «إذا زَمَر زامر زنجبار رقصت البحيرات».⁽¹⁾

وخلص قلاسمان إلى ألا يعاد إنتاج التفكير العرقي بمجرد الترويج من جديد لأفكار قديمة ولكن باستكمال هذه الأفكار وصقلها بعناصر مستجدة. ويشمل هذا في حالنا المخصصة الجدل حول الاتحاد وشرعية الدولة المبنية على دعاو القومية الأفريقية العرقية والعبارات شبه (quasi) الماركسية عن الطبقة والاستعمار الجديد، والمناقشات التاريخية عن ثورة ١٩٦٤م، وما استجد من الحرب على الإرهاب الإسلامي. ومع لعب القومية العرقية الأفريقية دوراً تحريراً مميزاً إلا أنها سلكت في زنجبار طريقاً بغيضاً وتر المعارضة للحزب الحاكم بطرق مكنت لكره سياسي زنجباري للبر الأفريقي.⁽²⁾

(1) Glassman, 298.

(2) Glassman, 298-299.

الخاتمة

من بين أكثر الوقائع درامية في محنة زنجبار ما قرأته لأحد الناجين منها. قال إنهم أخضعوه لتعذيب شديد من ويلاته أن يجيب على السؤال: من أنت؟ لتكون إجابته حصرياً «أفريقي» بالمعني الذي أراده متعصبو الزنوجية الزنجباريون. وقال الرجل إن ما كان يعذبه من الإجابة المفروضة عليه أنه بدا كمن يخون زنجبار حمالة الثقافات أو مصهرها. فلما انكسر تحت التعذيب وقال «أفريقي» كطلب الزبانية أمضه شعوره بأنه ارتكب إثم الردة بحق إرث زنجبار الخليط أو الخلاسي.

أردت بهذا البحث أن نرد بصورة استراتيجية الزندقة الزنوجية المنقلبة على إرث زنجبار الحنيف التي تجلت بصورة مصغرة في مثل تلك التي فرضها فريق التعذيب على العربي الزنجباري أعلاه. ولكن علينا أن نحذر في رسم استراتيجيتنا لإماطة الأذى عن طريق العلائق العربية الأفريقية

واحدة. وهي أن نتمثل هولوكوست زنجبار بمصطلح «الأندلس المفقود»⁽¹⁾. فليس بوسعنا الآن فعل كثير شيء لتدارك الأندلس خلافاً لزنجبار التي لم تخرج عن اليد بعد. فزنجبار ليست للنوستالجيا بعد. فمما يترتب على مقاربتها بالأندلس هو نفوذ اليد عن تجربة شديدة التعقيد وغراء في لقاء الثقافة العربية والإسلامية ببعض أفريقيا. وهي تجربة لم نسبر بعد جدلها. ومن أمثلة نفوذ اليد غير المستحب نجد من تنفس الصعداء لأن عرب زنجبار عادوا إلى مراتبهم العربية الأصل⁽²⁾. فكسب العروبة والإسلام في خلاسية زنجبار ما كثر لم يقتلع الجنوسايد عروقه القديمة. فقد قرأت لأمل نديم غزال (٢٠٠٥م) رسالة جامعية حسنة كشفت عن زنجبار كضلع في مثلث إحياء عقيدة الإباضية مع عمان والجزائر. من الجهة الأخرى، فزنجبار حفيظة على كسبها العربي الإسلامي لم يذهلها خطب ١٩٦٤م. وربما اشتطت حتى حذرها قلاسمان من الانكفاء على نفسها بالانفصال عن تنزانيا. فلا مهرب لها من ذلك الكسب وغزارته. فتتنزانيا، في قوله، دار للمسلمين أيضاً يعدلون المال الأخرى عدداً.⁽³⁾

وعلى أن نشدد النكير الفكري على القومية
الزنوجية الأفريقية الناكرة لتجارب خلطة القارة

(1) الرئيس. ص ٢٠٠.

(2) الريامي. ص ٤٩٤-٤٩٦.

(3) Glassman, 298.

التاريخية بأعراق وملل وثقافات صارت بعض نسيج القاري الثقافي والبشري. فلربما ارتكبت هذه الكيانات الوافدة الموبقات التاريخية بحق قطاع أفريقي تاريخي أو معاصر. ولكن حقيقة الوجود العربي الإسلامي في القارة قدر ونفذ. فالزنجية الخالصة مجروحة ويكفي أن أوكلوا بطلها أو سفاحها، تقمص دور المخلص لزنجبار في مصطلح المسيحية. وهي دين طارف كان هو نفسه من بين الأوائل من بين أهله الذين تحولوا إليه من عقائدهم التقليدية. ولم يطرف لأولئك جفن يقتلون على وزر الغربية عن أفريقيا قوما وثقافة سبقت المسيحية بقرون.

الزنجية، في منظور علم الاجتماع المعاصر، مصطنعة أو مخترعة. وليست الزنوجة على أشدها حالياً. فسهام النقد تنوشها من كل جانب. وسيكون في استراتيجيتنا لإماطة أذى العلائق العربية الأفريقية مستصحبين هولوكوست زنجبار إنقاذ لها من محنتها مع عقيدتها المخترعة. فأفريقيا صارت بيضاء بدخول نحو ٦ مليون أبيض أفواجا مواطنين مستحقين في دولة جنوب أفريقيا بفضل سياسات الحزب الأفريقي الوطني الذي لم يفرق في العرق خلال نضاله الطويل لإنهاء دولة الأبارتايد. فلم يستبدل دولة عرق أبيض بأخرى سوداء كما رغب في ذلك أفريقيون آخرون وربما ما يزالون.

ستنقد استراتيجيتنا موضوع النظر أفريقيا من شرور الزنجية التي تمثلت في عنف ضرب القارة

وضرحها بالدم. فقد كان سهلاً للزنوجية أن تفرق متى كان الخصم ممن قدم أجداده من خارج القارة مثل العرب والأوروبيين البيض. وكذلك الهنود الذين طردهم عيدي أمين، رئيس أوغندا، من البلد. ولكن تعثرت الزنوجية في «أجانب أفريقيين» حين شرعت القارة في بناء الأمة-الدولة بعد استقلال شعوبها. فقد قتل الهوتو التوتسي بسبب أنهم «أجانب» جاءوا من أثيوبيا. بل كانوا يلقون بجثثهم في النيل ليعودوا إلى مضاربهم الأولى. ناهيك من الحالات التي جري استبعاد، أو محاولة استبعاد، مرشح للرئاسة في أفريقيا لأنه «أجنبي» في معنى الوطن المخصوص لا الزنوجة بشكل عام. وشمل ذلك كنيث كاوندا مؤسس دولة زامبيا والحسن وتارا رئيس جمهورية ساحل العاج الحالي. وهذه «عرقية» أو «إثنية» أفرزتها الدولة الوطنية.

نريد لاستراتيجيتنا المنشودة أن «نشتبك» بها بأفريقيا بصورة أوثق وأعمق وأكرم. ولنحسن تصميم هذه الخطة وجب أن ننسى كل ما تعلمناه عن «الدور الحضاري» للعروبة والإسلام في أفريقيا في مغزاه التبشيري. فقد اعتقلنا هذا الدور في أفق تألوفي اقتصر على تدوين دخول العرب والإسلام وأفريقيا ودورهما في ترفيع أفريقيا وتحضيرها. وهو تدوين ما فتئ يعمق من غربة العرب والإسلام عن القارة السوداء. ولم يتفق لنا بعد أن العروبة والإسلام أفريقيان وحسب بلا حاجة لذكر موطنهما الأصل. ولم تبد لي هذه الحقيقة البديهية

إلا حين زار هنري قيتس مدينة تمبكتو بمالي،
«هارفارد» أفريقيا الإسلامية في غرب أفريقيا،
وشق عليه تدهور ذخائر كتبها وتأليف علمائها
لبؤس مقار حفظها وتعذر صونها. فروّع بفيلمه
الأكاديمية العالمية فانفعلت ودبرت الأموال لإنقاذ
هذا التراث الأفريقي. فصينت المكتبات وانعقدت
الندوات لتقييم ذلك الإرث. ومن بين عناوين تلك
الندوات أخذ بلبي ذلك الذي كان: «طريق الحرير».
ونظر المؤتمر في مسارات علماء المسلمين في القارة
وجامعاتهم والحسنين إليهم وآثارهم. فأصل
الثقافة الإسلامية والعربية نسيجاً مستكناً في القارة
في حين تراخت طرق أخرى كان التركيز فيها على
طرق الرق ومتعلقاته.

قائمة المصادر والمراجع

كتب باللغة العربية:

- 1 جمال زكريا قاسم: دولة البورسعيد في عمان وشرق أفريقيا. مركز زايد للتراث، أبوظبي، ٢٠٠٠م.
- 2 رياض نجيب الريس: صحافي ومدينتان: رحلة إلى سمرقند وزنجبار. رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٧م.
- 3 محمد فائق: عبد الناصر والثورة الأفريقية. دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٢م.
- 4 ناصر بن عبد الله الريامي: زنجبار، شخصيات وأحداث. دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٩م.

كتب، باللغة الإنجليزية:

- 5 Adam, Heribert, Hushed Voices: Unacknowledged Atrocities of the 20th Century. Berkshire: Berkshire Academic Press, 2011.
- 6 Hgvem Ferguson, Zanzibar under Colonialism. London, James Cury, 1991.
- 7 Hgvem Ferguson, The Background to the Zanzibar Revolution. In Amrit Wilson, US Foreign Policy and Revolution: The Creation of Tanzania. London: Pluto Press, 1989.

- 8 Clayton, Anthony, *Zanzibar Revolution and its Aftermath*. London: C. Hurst, 1981.
- 9 Ghazal, Amal N. *Islam and Arabism in Zanzibar: The Omani Elite, the Arab World and the Making of an Identity*, Ph.D. dissertation, University of Alberta, 2005.
- 10 Glassman, Jonathon. *War of Words, War of Stones: Racial Thought and Violence in Colonial Zanzibar*. Bloomington: Indiana University Press, 2001.
- 11 Lemarchand, Rene. *Forgotten Genocides: Oblivion, Denial, and Memory*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2011.
- 12 Lockwood, Sandra, *Nightmare in Paradise: The 1964 Zanzibar Revolution and Genocide*. In Adam Heribert, *Muted Voices: Unacknowledged Atrocities of the 20th Century*. Berkshire: Berkshire Academic Press, 2011.
- 13 Mamdani, Mahmood, *Saviors and Survivors: Darfur, Politics, and War on Terror*. New York: Doubleday, 2009.
- 14 Mapuri, Omar K. *Zanzibar, The 1964 Revolution: Achievements and Prospects*. Dar es Sallam: Tema Publishers, 1996.
- 15 Martin, Esmond Bradley, *Zanzibar: Tradition and Revolution*. London: Hamish Hamilton, 1978.
- 16 Mazrui, Ali and Michael Tidy, *Nationalism and New States in Africa*. London: Heinemann Educational Books, 1984.
- 17 Okello, John, *Revolution in Zanzibar*, Nairobi: East African Publishing House, 1967.

رقم الإيداع: 2015/17555